

يسوع

حوار مع المخلص

تأليف

راهب من الكنيسة الشرقية

كنيسة مارجرجس باسبورتنج

يسوع

حوار مع المخلص

تاليف

راهب من الكنيسة الشرقية

الطبعة الرابعة

كنيسة مارجرجس باسبورتنج

إليك ...

يا ربى ...

ربي يسوع

دعني أتقدم في اتضاع لأهدي هذه التأملات ، التي تولدت وترعرعت خلال سنوات طوال ، على نفس الدروب التي سلكتها أنت أثناء حياتك على الأرض ، وفي نفس المدينة التي شهدت الامك . هي ثمرة أورشليم وبحر الجليل ، ثمرة حياة برمتها .

ولكن لماذا أضيف أنا قطرة الى ذلك المحيط من الكتب التي تتحدث عنك ؟ فلأجسر وأقول بكل بساطة : لأني أحسست أنك كنت تأمرني انا ايضاً أن أتحدث عنك ! « ارجع الى بيتك وحدث ...» (لو ٨ : ٣٩) ، فانطلق الرجل الذي شفيته من الشياطين في كورة الجدريين ، وبدأ يعلن محبتك له ، ورحمتك عليه .

ولقد كان أملي أن تنال بعض النفوس معونة باشتراكها معي فيما أعطيته لي حينما ثبت نظري فيك ، وما سمعته منك حينما صمت لأسمع صوتك .

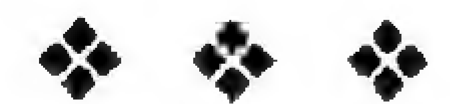
وهناك أمور كثيرة يتوقع القارئ أن يجدها هنا لم أتكلم عنها ، ذلك لأني ما قصدت يا مخلصي إلا أن أصف قليلاً من قسمات وجهك ، وقليلاً من اللحظات التي

قضيتها معك فى حوار شخصى ، إنه حديث عن خبرة شخصية خاصة ، لذلك فلن أستطيع أن أضيف إليه شيئًا آخر ولا أتمنى ذلك . فلقد كنت أحس أحيانًا - ويجب أن أقولها - أن كلمات وأفكار معيّنة أتت الىّ من بعيد ، من علو يسمو جداً فوق نفسى .

ربى ... أشفق على خاطئ فقير ، تجاسر أن يتكلم عنك دون أن تطهر الجمرة شفتيه !

إنى أعلم أن كلماتى بلا قيمة - هى لا شىء ، وكل ما أرجوه هو أن تلمس نفوساً قليلة لتقودها إليك .

ربى ... قُد قلوب القرّاء الى نقطة فيها يتركون هذه الصفحات ، ويفتحون من جديد - أو ربما لأول مرة - انجيلك المقدس ، والى نقطة فيها يسمحون لكلمتك أن تدخل فى هدوء وسكون الى قلوبهم .



مقدمة

✠ إن موضوع هذا الكتاب أيها القارئ العزيز هو شخص « يسوع » ، وبدون مقدمات أو فلسفات ستجد الكاتب يدفعك الى حديث مباشر بين يسوع وبين روحك... والرب يردد لك هذا الحديث « **اتبعني** ». إن الكتاب لا يقدم لنا حديثاً عن يسوع ولكنه يدفعنا الى «تبعية يسوع» والدخول فى شركته . إنه بمجرد تصفحك الكتاب ستحصل على شعور عميق بأنك قد كشفت عن إناء مملوء بنعم إلهية مقدسة وسيفوح حولك عبير سماوى من الانتعاش والطهارة والبساطة .

✠وهذا الكتاب فى طريقة الحوار التى يقدمها بين الرب يسوع والقارئ هى أعمق طريقة لدراسة الانجيل ، لقد ظهر الكثير من كتب التفسير الى الدرجة التى أحياناً يؤدى التفسير العقلى الى عدم إنسجام روحى مع الانجيل . الواقع إن أعمق اثر سيتركه هذا الكتاب فى نفس القارئ هو دفعه للدراسة العميقة للانجيل ، وتبعية يسوع ، والتلامس والدخول فى شركة معه ، وهذه هى أمنية قلب الكنيسة

أن يدخل كل ابن لها فـى شركة حوار مع يسوع عن طريق الانجيل .

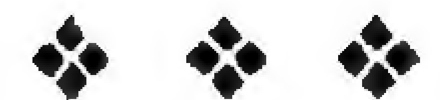
+ الكاتب ، راهب من الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية ، كتب باللغة الفرنسية ، والذى قام بترجمته للانجليزية راهب من الكنيسة الغربية ، والقائمان بالترجمة للعربية خادمان من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - **وهكذا حول شخص يسوع يلتقى الجميع فى وحدانية روح حقيقية.** بعيداً عن وحدة المظاهر والشكليات الكاذبة .

+ لقد سبق للمؤلف أن نشر كتبًا عن شخص «يسوع» مثل « صلاة يسوع» ، فيسوع هو عطية السماء للبشرية ، وقد صار لنا براً وقداسة وحكمة اللّه . شخص يسوع والتلامس معه هو الحل الوحيد لكل مشاكلنا - لأنه هو سلامنا - وخلاصنا وشفاؤنا ورجاؤنا ، وقيامتنا... لأنه ليس اسم آخر به ينبغى أن نخلص إلا اسم يسوع الناصرى .

+ لقد رفض كل من المؤلف بالفرنسية والمترجم بالانجليزية ، ثم المترجمان بالعربية أن يذكروا أسماءهم... حقًا إن فى يسوع يذوب الجميع الى جسد واحد هو جسد يسوع « لأنه ينبغى أن ذلك يزيد وأنا أنقص » .

+ والآن إلقِ جانبًا الكتب الكثيرة المملوءة كلامًا كثيراً واجلس فى هدوء مع هذا الكتاب ، واضعًا الانجيل أمام عينيك وبمجرد أن تبدأ فى تأملك حول يسوع فإن حياتك وبيتك سيمتلئان من عبير حلاوة يسوع . آمين

الكنيسة



١
ولادة يسوع فينا

يبدأ الانجيل بسلسلة نسب يسوع المسيح (مت ١ : ١) لكن ما معنى هذه القائمة الطويلة من الأسماء العبرية ؟

إنها تشبع ضرورة عند اليهود بأن يروا فى المسيا ابناً لداود ، ولكنها تحمل معنى آخر ، ففى هذه السلسلة نجد قتلة وزناة ... وحين يولد المسيح فى قلبى ، فإنه يولد وسط الخطايا المتراكمة ، فيسوع يخترق هذه الخطايا ويجد لنفسه طريقاً خلالها متسلقاً فوقها واحدة تلو الأخرى . إذن ، فهذه هى ولادته فىّ ، وفى هذا تشرق رحمته وتنازله ، بل وقوته أيضاً .

ثم إن مريم وهى تحمل يسوع فى أحشائها ، تمضى مع يوسف الى بيت لحم ليكتتبا هناك (لو ٢ : ٣) . يسوع لم يرد أن يولد فى روما أو فى أثينا ، حتى ولا فى أورشليم، بل يمكننا أن نجد سر ولادته فى القرية اليهودية الفقيرة، ولهذا ينبغى أن نصعد الى بيت لحم ونستوطن

هناك لنكتسب - بل بالحرى لنحقق - روح اتضاع هذه القرية .

وفى بشارة الملائكة للرعاة لا نراهم يعلنون مجرد ولادة مخلص ، بل يقولون « اليوم ولد لكم مخلص » (لو ٢ : ١١) يسوع إذن قد ولد من أجل كل واحد من هؤلاء الرعاة ، ليصير ميلاده حدثاً شخصياً فى حياة كل منا . يسوع هو عطية مقدمة لكل إنسان على حدة .

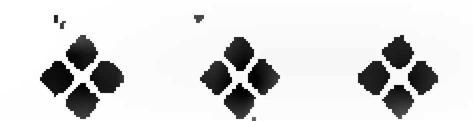
وكما أن مريم - وهى تحمل يسوع فى أحشائها - لم يكن لها ولا ليوسف مكان فى الفندق (لو ٢ : ٧) ، كذلك **تلميذ المسيح لن يجد له مكاناً فى فندق هذا العالم** . ولسوف تكون راحة خطرة لو أننى وجدت لى مكاناً ههنا. هل هناك أدنى شبه بين الفندق والمذود ؟!

لقد مضى المجوس فى طريق آخر الى بلادهم بعد أن تلقوا تحذيراً فى حلم (مت ٢ : ١٢) ، إذ ينبغى أن يجتنبوا هيرودس . وبمعنى روحى : أن من قاده الرب الى المذود يمكنه أن يرجع الى بيته ووطنه ، ولكن فى طريق آخر ، أى أن دوافعه وميوله واتجاهاته ، وطريقة حياته ووسائلها لن تبق كما هى ، فحين نذهب الى بيت لحم يجرى فينا تغيير جذرى .

لقد أعلن لسمعان أنه لن يرى الموت قبل أن يرى المخلص (لو ٢ : ٢٦) . وهكذا أتنهد أنا طالباً هذا الامتياز ألا أموت قبل أن أرى يسوع ، لا بعينى الجسد بل بعين الإيمان حيث الرؤيا الحقيقية . أما بعد موتى فسوف أراه بطريقة أخرى .

لقد وهب لسمعان أكثر أن يرى الطفل فقط ، إذ حمله على ذراعيه (لو ٢ : ٢٨) . ليتك يا ربى تمنحنى أن أعانق الطفل عناقاً روحياً !

ولقد أمر الملاك يوسف أن يأخذ الطفل وأمه ويهرب الى أرض مصر (مت ٢ : ١٣) . وفى حياتنا توجد أوقات نكون فيها فى ضعف شديد بحيث يفضل أن نهرب من الخطر ونتنحى عنه . لكن ينبغى فى هروبنا هذا أن نأخذ معنا أثمن شىء ، نأخذ يسوع ، **نأخذ الطفل فى صغره وضعفه** ، فهو الذى يقوينا ويشددنا فى ضعفنا ، كما نأخذ أمه مثلما أخذها التلميذ الحبيب بعد الساعة التاسعة ، وهكذا ارتبطت بابنها عن طريق سرى ، بالرحمة والمحبة .





٢
رؤية يسوع

« نريد أن نرى يسوع » (يو ١٢ : ٢١)

هذا ما طلبه بعض اليونانيين من فيلبس الرسول ، وهذه هى الصلاة التى أرفعها دائمًا للروح القدس : أيها الرب الروح ، دعنى أرى يسوع !

« الأنقياء القلب يعاينون اللّه » (مت ٥ : ٨) . هذا ما صار واضحًا فى العظة على الجبل ، فيسوع لا يمكن أن يراه إلا أنقياء القلب الذين يتحركون مباشرة الى عمق قلب الانجيل . ان رؤية يسوع ميسورة بالنسبة اليهم ، بينما هى عسرة بالنسبة لذوى النظرة المشوشة سواء بسبب الشهوات أو بسبب السعى المتهور الى المعرفة البشرية المحضة . هؤلاء يجب أن يتعلموا من جديد نقاوة القلب ليتمكنوا من الحصول على النظرة المباشرة الى يسوع .

إنى أنظر الى يسوع **بقدر ما أتعلم أن أدعه ينظر الى** ، أى أننى أخضع نفسى لنظرته . فقبل دعوة المسيح الأولى

لسمعان بطرس « نظر اليه » (مت ٤ : ١٨) ، وكانت نظرته حسب مدلول الكلمة اليونانية – مثبتة . وهذه هى نفس النظرة التى نظر بها يسوع اليه وهو خارج من بيت قيافا بعد أن أنكره (لو ٢٢ : ٦١) . النظرة الأولى ملأت قلب التلميذ فرحًا ونوراً ، أما النظرة الثانية فقد جعلت التلميذ الذى خان معلمه يبكى بكاءاً مراً . إذن فهناك نظرات للمخلص تسبب بكاءاً ، وبدونها لن أستحق النظرات التى تسبب نوراً وفرحاً .

إن شروط الرؤيا هى نفس الشروط التى طلبها يسوع من تلاميذه الثلاثة الذين أعطاهم أن يكونوا شهوداً للتجلى (مت ١٧ : ١) . فلقد « أخذهم معه » وقادهم الى « جبل عال» وكانوا « منفردين » . فلنكن إذن فى خلوة مع يسوع جاعلين أنفسنا تحت قيادته . ومع أن الصعود مؤلم وشاق إلا أن هذه الشروط تظل ضرورية فى المعتاد ، أقول « فى المعتاد » لأنه توجد حالات استثنائية مثل مقابلة شاول فى طريق دمشق (أع ٩ : ٣) .

إذن ، **فلب الموضوع هو نقاوة القلب** . والقلب النقى هو القلب الخالى من الشوائب (تمامًا كما نتكلم عن الذهب بعد تنقيته) ، هو القلب الغير المنقسم والغير

الموزع، بل هو متجمع ومتكامل بكل أجزائه . إن عدم الطهارة– بالمعنى الحسى – صورة من صور التفكك وقديماً قالت الحكمة « يا ابنى اعطنى قلبك » (أم ٢٣ : ٢٦) . القلب المعطى هو الذى يستطيع أن يرى يسوع ويدركه . يجب أن يعطى القلب عطاءاً بلا تراجع ، عطاءاً كاملاً بلا عيب . **الواحد ضد الكثرة** ، إما يسوع وحده وإما لجئون . « إسمى لجئون لأننا كثيرون » (مر ٥ : ٩) هكذا أجاب الرجل الذى به الروح النجس عندما سأله يسوع عن إسمه .

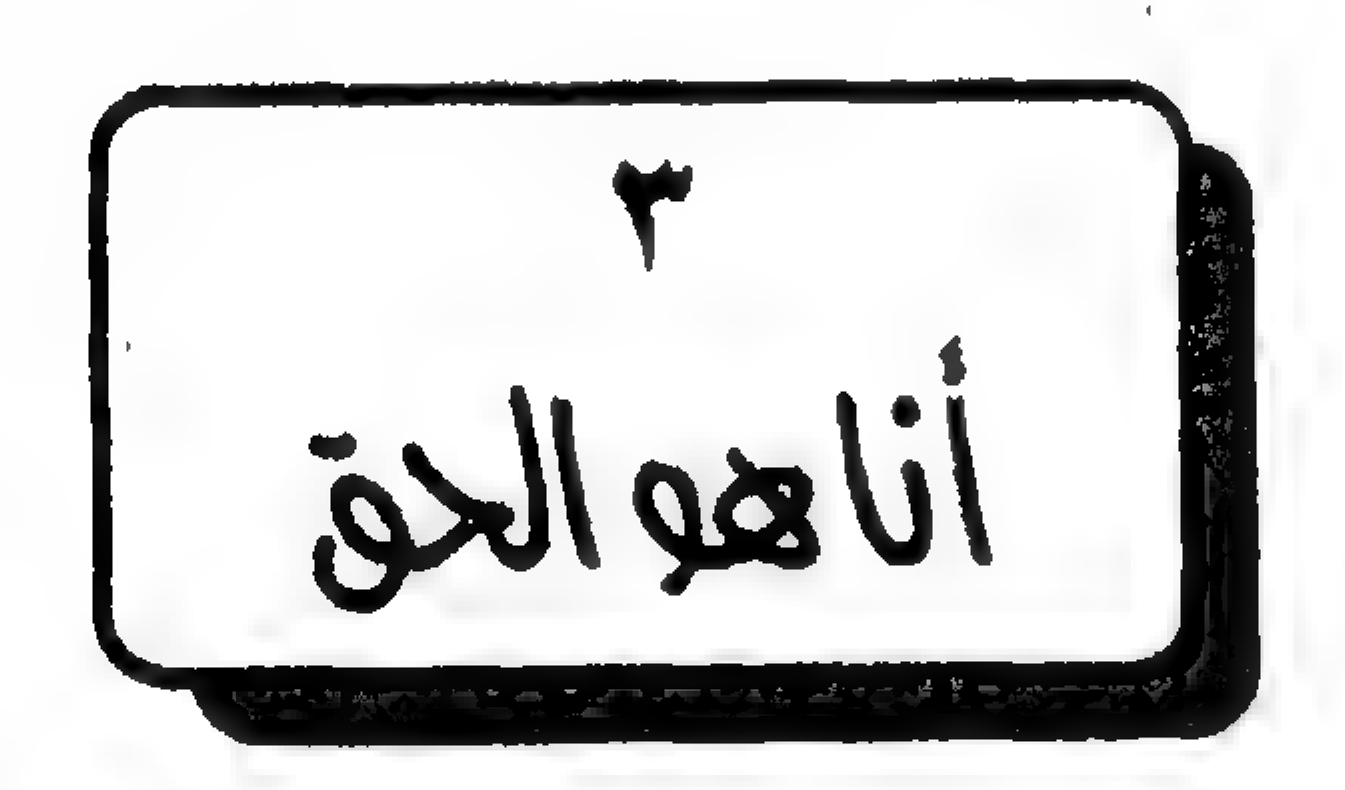
يا بنى ... لقد كنت تطلب سعادتك الخاصة ، وهأنذا أقدم لك تطويباتى عوضاً عنها . لقد أوضحت لك حياتك أن الطريق مغلق أمامك ما لم تعطِ قلبك عطاءاً كاملاً ، لذلك فطوبى لكم يا من اغلقت أمامكم كل الطرق التى ليست هى طرقى .

إننى حينما انظر اليك يا ربى يسوع ، اجد اننى لا اشعر بحاجة الى سؤال أو جواب . شخصك وصورتك هما جواب مشبع وكامل . لذلك فحينما اثبت نظرى فيك أراك تكشف لى كل شىء ، ومهما بدا هذا الكشف غامضًا – فهذا ما لا بد منه الآن – إلا أن هذا الغموض نفسه هو لمعان

يبهر البصر . لذلك فحينما أحصل على رؤيا واضحة لك ، فإن كل شيء يصير واضحاً لي .

إن كلمتك يا يسوع ليست وصفًا ولا تعليقًا على ما ينبغي أن يوجد من ارتباط بيني وبينك ، بل هي تخلق هذا الارتباط فعلاً . إنها لا تعلمني شيئًا عن سلوكك ، بل هي توجد اتصالاً حيًا بيني وبين هذا السلوك . كلمتك يا ربي هي القوة المحركة للسلوك الإلهي في حياتي .

إن كلمات المخلص هي اعلانات عن نعمته ، ويسوع فادينا يتكلم في ملاحظات يومية .. وهكذا نجد أن ظل الصليب ، لا بل نور الصليب ، يسطع على كل شيء ! .



٣
أنا هو الحق

يسوع هو الحق وفيه كل الحق . وبقدر ما نكتشف الحق الذي في يسوع فإن كل الحق يكتشف . ويمكننا أن نطبق هذا على العلم والفن والثقافة الانسانية ، فنحن ينبغي أن نرى العالم بعيني المخلص .

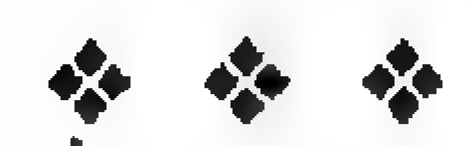
حين جاء تلميذا يوحنا يسألان الرب عن أرساليته ، لم يجبهما لا بالنفي ولا بالإثبات ، بل طلب إليهما أن ينقلا الى المعمدان ما رأيا (مت ١١ : ٤ الخ) .

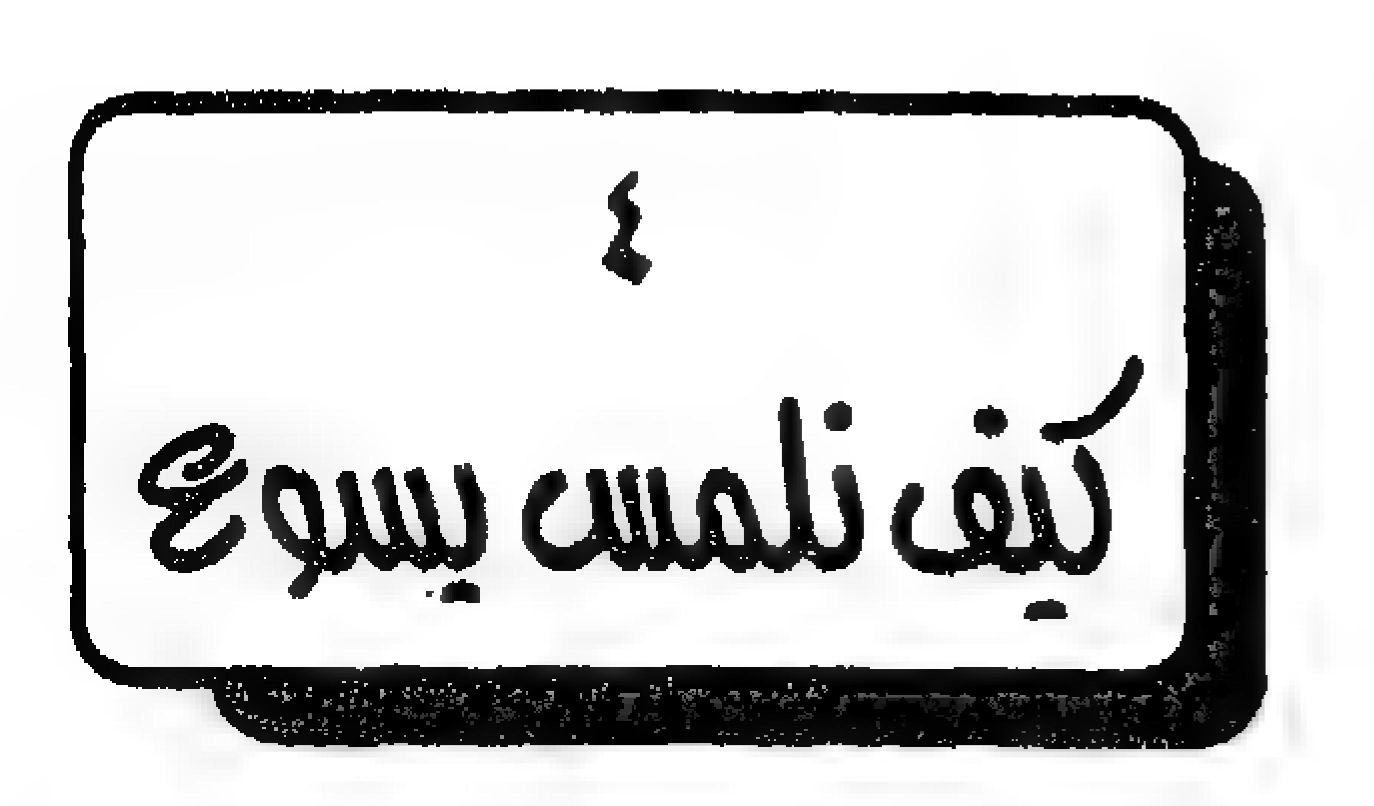
ولما اعترف بطرس أن يسوع هو المسيح ابن اللّه ، أوصاه يسوع الا يعلن هذا السر للناس (مت ١٦ : ٢٠) لأن على كل انسان أن يكتشف لنفسه سر يسوع .وحتى إن تعلمنا من الآخرين من هو يسوع ، ولو قام بذلك الخدام المنوطون بهذا العمل ، فالأمر يحتاج الى خبرة شخصية لكي نعرف من هو يسوع .وفي الواقع تحتاج جماعة المؤمنين الذى يعيشون حياة طيبة أن يجيبوا عن هذا السؤال : هل عرفت هذه النفس مخلصها ؟ هل عرفته كما يعرف الصديق صديقه ، وكما يعرف العريس عروسه بحيث تكشفت أعماق أحدهما للآخر ؟ على هذا القياس نعرف المخلص الذى هو روحي أعمق من أنفسنا .

ويحدث كثيراً أن بعض المعلومات المكتسبة (والحقيقية أيضاً) المختصة بالمخلص ، تحل محل المعرفة الشخصية والعميقة له ، بل إن هذه المعلومات يمكن أن تكون حجاباً بيننا وبينه .

ربى .. هل أنا أعرفك حقيقة ؟ أم أنا أعرف فقط ما قرأته وسمعته عنك ؟

ان الرب لا يريد أن ترتبط النفس وتتحدد بالرؤية الأولى ، فحينما رأى نثنائيل الرب آمن به ، ولكن يسوع قال له : « سوف ترى أعظم من هذا » (يو ١ : ٥٠) . إن فرحة الرؤيا لا ينبغى أن توقف الدافع اليها ، بل يجب أن تحركه نحو الاستمرار . وعلينا أن نستمر على الدوام طالبين يسوع الذى قال : « اطلبوا تجدوا » . (مت ٧ : ٧). ليس هذا فقط بل أيضاً : لأنك وجدت فسوف تبحث أكثر . انا لن نكف عن البحث عن يسوع إلا فى نهاية الزمن . ان اكتشاف يسوع لن يوقف السعى نحوه طالما اننا لم نحظ بالرؤيا النهائية . لهذا يقول القديس أغسطينوس : «فلنبحث عنه دوماً ، ذاك الذى وجدناه من قبل ! » .





هل لا بد من أن نرى يسوع ؟

نعم ، بل وأكثر من هذا ، لا بد أن نلمسه أيضاً .

« الذى رأيناه بعيوننا ، الذى لمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة ...» (١ يو ١ : ١) هكذا يقول يوحنا الرسول.

لقد قالت نازفة الدم فى نفسها أنها لو لمست ولو هدب ثوب المخلص فقط لشفيت (مت ٩ : ٢٠) وهكذا جاءت من ورائه فى خوف ، وإذ لمست هدب ثوبه شفيت من مرضها .

ليته لا يمضى يوم دون أن ألمس فيه هدب ثوب المسيح. ليته لا يمضى يوم دون أن أخذ فيه قوة من المخلص تكون ضماناً لخلاصى .

يجب أن نلمس يسوع فى المحادثة السرية معه ، وفى التعامل مع أعضاء جسده الذى هو الكنيسة ، وفى سر العشاء الربانى .

ونحن لا ينبغى أن نفترض أننا قد لمسنا يسوع لأننا اقتربنا منه ، بل هناك لحظات ممتازة نحس فيها برعدة لا يعبّر عنها ، وبيقين شديد يجعلنا نصرخ : « لقد لمست يسوع الآن » ، أو بالأحرى : « لقد لمسنى يسوع الآن » .

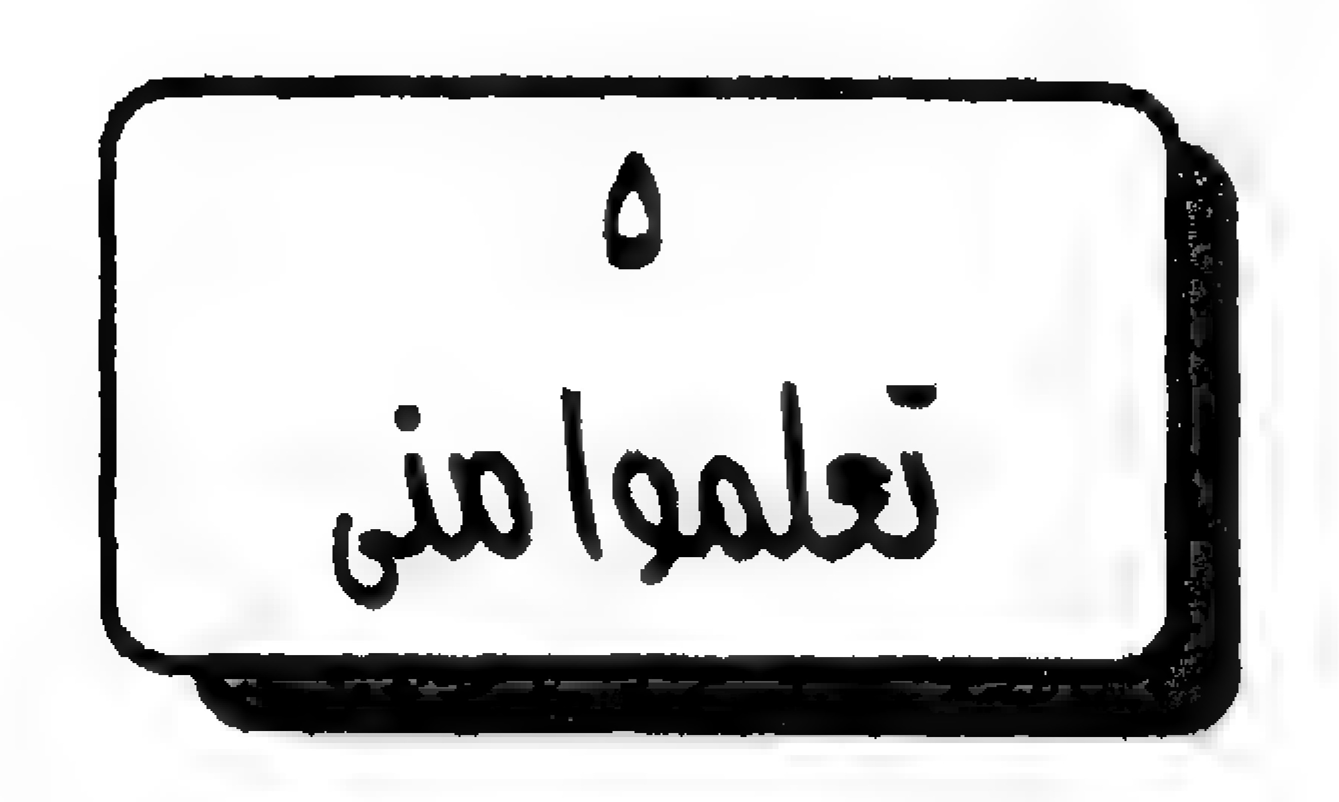
هذه الاختبارات حين تكون حقيقية وأصيلة تلقى بنا الى أعماق الانسحاق !

ربى ... إنى لا أستحق أن أرفع عينى إليك ، فارحمنى لأنى خاطئ ! (لو ١٨ : ٣) .

كم هى عجيبة ومحيّرة تلك الحقائق الخاصة بحياة المسيح ، انها لا تكون بالضبط حسبما نتوقع ، بل هى إيجابية تذهب الى أبعد مما نتوقع . فها إن يوسف الرامى يدفن يسوع (مت ٢٧ : ٥٩) ولكن يسوع لا يمكن أن يحتويه قبر أو يحده ! وها النسوة آتيات ليحنطنه بحنوط (مر ١٦ : ١) فيفاجأن بإله قائم من القبر يلغى خطتهن ! وها امرأة تسكب الطيب على جسد الرب وهو حى قاصدة أن تعطيه مجداً (مت ٢٦ : ١٢) ولكنه يعتبر ذلك تكفيناً له !

الصليب يبدو محطمًا للأمل ، ولكن القيامة تحطم اليأس . والأعمال الإلهية قد تفسد خططنا وتفكيراتنا ،

ولكنها تذهب الى مستوى أبعد من الأمل واليأس معاً هذا ما يحدث عند كل تدخل من تدخلات اللّه فى حياتنا الشخصية ، فكل منها يجعل شيئاً ما ينفجر بجوارنا ولكنه يجعل الهروب ممكناً . إن يسوع لا يتفق مع خططنا ، لكن حضوره وكلمته يتخطيان كل الحدود والقيود



« تعلموا منى » (مت ١١ : ٢٩)

لا نستطيع أن نعرف يسوع ، دون أن نتعلم يسوع

وينبغى أن نتعلمه يومًا فيوماً ، وساعة بعد ساعة ، قليلاً قليلاً . إنه لأمر يحتاج الى الخضوع والمثابرة ، كما يحتاج الى ألفة يومية معه إذ نكون نحن قريبين منه ، منصتين اليه .

تعلموا منى ...

يطلب المخلص هذه الصلة المباشرة الوثيقة مع كل نفس . قد يتمكن الآخرون من إعدادنا لرسالته ،

ويعيدونها على أسماعنا بفائدة جزيلة ، ولكن لن يزيدوا عن كونهم مدرسين مبتدئين . هو وحده السيد الذى ينبع تعليمه من اللاهوت ، وهنا نجد التعليم غير منفصل عن شخص المعلم .

إن تقبل رسالة يسوع هو اكتشاف لشخص السيد ، فيسوع يريد أن يكشف لنا ذاته . ترى ، ماذا يريدنا أن نتعلم عنه ؟ مجرد أمر بسيط ومختصر يناسب حتى العامة والجهال : « إنى وديع ومتواضع القلب » (مت ١١ : ٢٩) . هذا أول ما يريدنا أن نعرفه ، فهل هذا كثير ؟ إذا ما تفحصنا هذه الكلمات البسيطة فلسوف نكتشف فى ثناياها بين لحم والجلجثة .

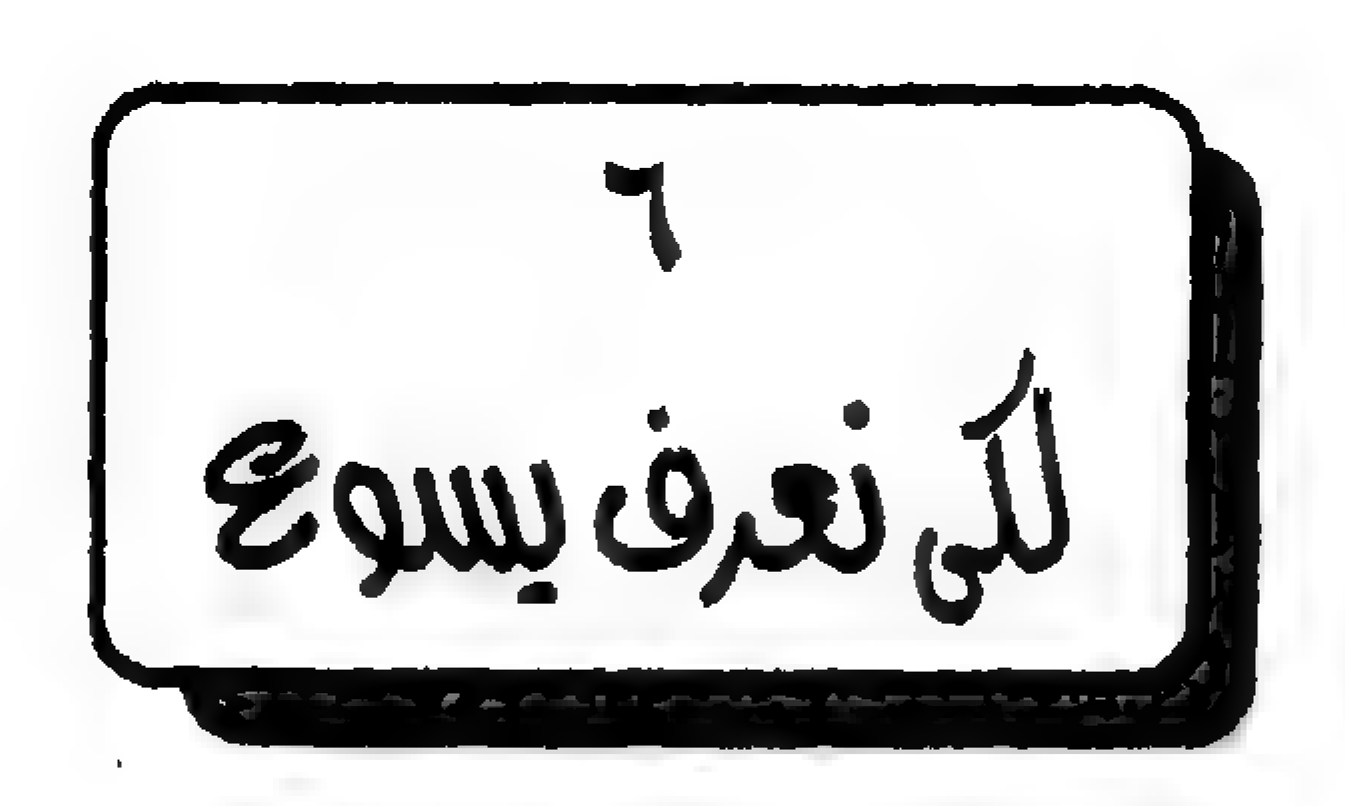
ولكى نعرف يسوع يلزمنا نوع من عدم المبالاة ، مع نظرة موضوعية مقدسة ، إذ ينبغى أن تصير هذه المعرفة الهم الأعظم لحياتنا . لذا يلزم أن نمنع حياتنا - حتى على المستوى الروحى - من أن تكون هى موضوع إنشغالنا الأول . إن ما سوف نتعلمه من يسوع عن نفسه ينبغى أن يكون بالنسبة الينا أثمن أمر فى الوجود . يجب أن نرى فيه أكثر ما نتعلمه عن أنفسنا ، لأن وجه للخلص يجبرنا فى الحال على أن نعرف مقدار صغرنا بالنسبة اليه ، ويعرفنا وضعنا على حقيقته . من هنا تنبعث مباشرة

الامكانية – بل القوة اللازمة – لكى نتغير الى صورته . ولا ينبغى أن يشغلنا وجه يسوع بسبب تأثيراته فينا ، بل يجب أن ننشغل ونسبى بجماله الذاتى .

« أنا معكم زماناً هذه مدته ، ولم تعرفنى يا فيلبس » (يو ١٤ : ٩) .

يا بنى ... لقد كنت معك زماناً طويلاً أنت أيضاً ، ولكنك لا تعرفنى من نواحٍ كثيرة ، وما عرفته عنى لا يقاس بالنسبة لما يمكن أن تعرفه ، **فهل أنت مستعد أن تكرّس بقية عمرك لمعرفتى ؟**

هذه هى معرفة المسيح « حياة أبدية ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى ، ويسوع المسيح الذى أرسلته » (يو ١٧ :٣) . إذن لا يكفى أن نقول : سنعرف يسوع فى الحياة الأبدية ، بل أن معرفة يسوع هى حياة أبدية . الحياة الأبدية تقوم فى هذا ، ولذلك فهى **تبدأ هنا على الأرض** . معرفة المسيح هى الصلة بين الزمان والأبدية ، والإله الحقيقى ويسوع المسيح الذى أرسله ليسا موضوعين منفصلين للمعرفة لأننا فى يسوع وحده نعرف الآب ونعرف الروح « الذى رآنى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) .



إذا ما كرّس إنسان حياته لعمل ما ، كأن يصل الى ما وصل اليه شخص أخر ، أو أن يطوّر عملاً من الأعمال ، أو أن يجاهد فى إنجاز أمر يخصه ، نراه يحدد نفسه ويبسطها ويوحدها ، فيحيا داخل هذا العمل ويلبسه لبساً .

وهذا ما ينطبق تماماً على من يطلب معرفة يسوع ، إذ يجب أن نغلق على أنفسنا فى يسوع ، وندمج فيه كل الناس الآخرين ، وكل شىء أخر . وهكذا تثمر معرفتنا نعمة تفيض على العالم بطريقة غير منظورة .

يا مخلصى ... لدى الكثير لأبحثه بخصوصك . فلقد قرأت عنك الكثير ، وسمعت عنك الكثير ، بل وتكلمت عنك كثيراً ، ولكنى أحب الآن أن ألتصق بك وأغلق كتبى . ليت الحواجز التى بيننا ترتفع الى الأبد ... ليتنى آتى اليك ... ليتنى أمتص وأبتلع فى محضرك ... ليت قلبك فقط هو الذى يخاطب قلبى !

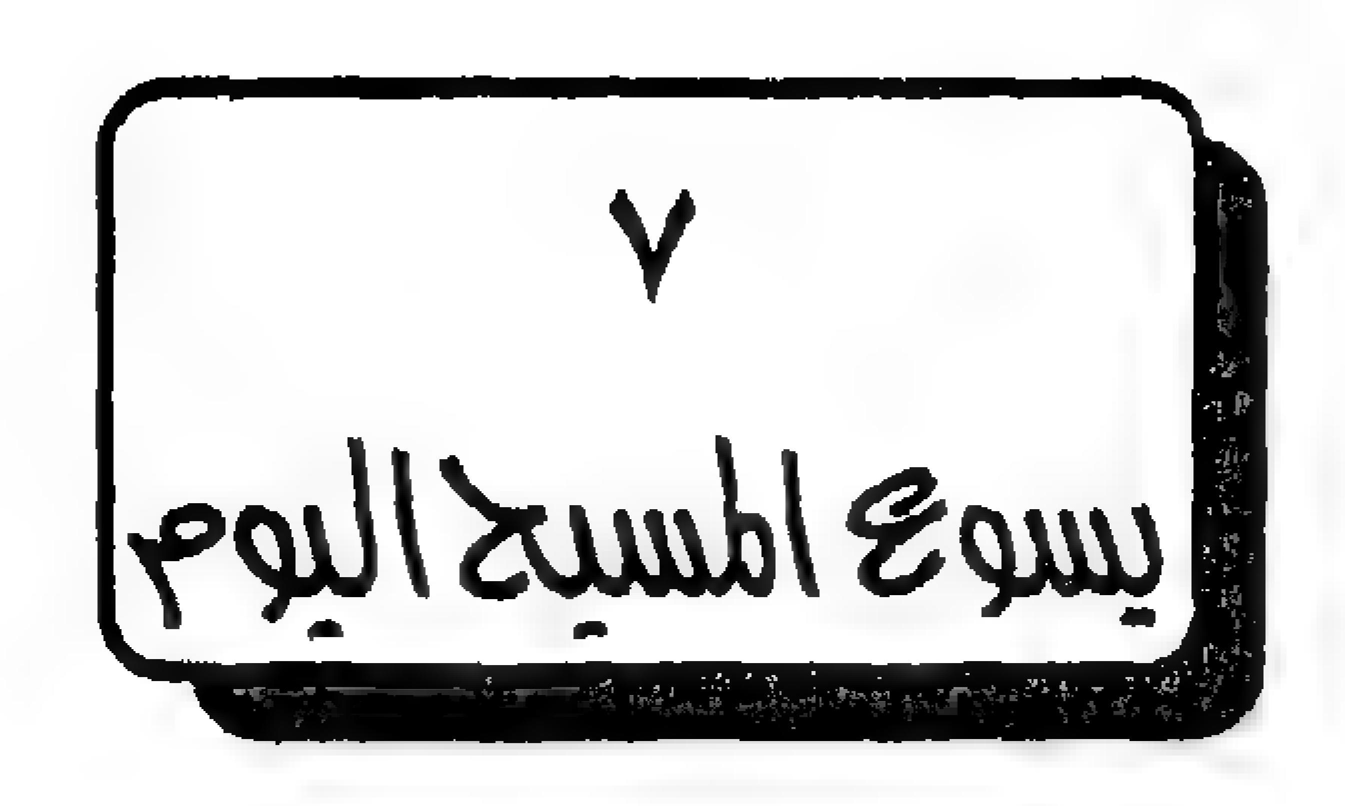
ربى يسوع ...

كيف يصغى قلبى الى قلبك بينما ترتفع أصوات المعلمين والكتبة يتناقشون بحدة عن إسمك ؟ وهل يمكننى أن أسمع صوتك الهادئ فى الخفاء دون أن تعصف به هذه الضجة الصاخبة ؟

إننى أردد كلمات المجدلية فى البستان : « أخذوا سيدى، ولست أعلم أين وضعوه ؟ قل لى أين وضعته وأنا آخذه » (يو ٢٠ : ١٣-١٥) . هذا ما أريد أن أفعله يا رب ، أن آخذك بعيداً عن صخب العلوم ومجادلات الحكماء ، وأيضًا عن غيرة التلاميذ المرّة « من منا يكون الأعظم » (لو ٢٢: ٢٤). دعنى أحبك وأعبدك ، دعنى أراك وأحادثك يا ربى .

هذا الحضور ، وهذا الالتصاق الذى أنشده ، سوف احصل عليه منك شخصيًا أيها الرب . فأنت تستطيع أن تظهر لى بصورة جديدة لا علاقة لها بالماضى ، كما أنك تستطيع أن تجعل حياتك على الأرض حاضرة وحقيقية وجديدة بالنسبة اليّ . أنت تستطيع أن تكتب فى قلبى «سيرة حياة يسوع » القديمة والجديدة فى آن واحد .

ربى ... اكشف لى ذاتك كيسوع الأناجيل ، ويسوع معاصرى ورفيقى .



هيا نفكر فى يسوع كمعاصر لنا

إن كل كلمة فى الانجيل هى - بالنسبة لى - حدث حاضر اليوم ، بل وممتد عبر الأبدية أيضاً . وهى تختلف تمامًا عن الحدث الماضى الذى أستعيده الى ذاكرتى ، ففى هذه اللحظة بالذات تكون كلمة الانجيل حقيقة شعورية حاضرة تخص حياتى .

إن أعمال المخلص وأقواله لترتبط بالتاريخ بهذا المعنى ، فهى قد حدثت فى الزمن ولها وجود تاريخى ، ولكنها تتخطى حدود الزمان والتاريخ ، تمامًا كما يتخطى الإله المتأنس كل حدود البشرية . ومع أنها حدثت فى الماضى إلا أنها متحررة من الماضى ، ومعاصرة لكل إنسان ،وهى تفتح أمامنا المستقبل أيضاً . ولقد سأل الرب تلميذىّ يوحنا حين تبعاه : « ماذا تطلبان ؟ » فقالا له : « يا معلم ، أين تمكث ؟» (يو ١ : ٣٨) إنهما لا يطلبان شيئاً بل شخصًا .

وهما لا يسألان فقط : إلى أين يذهب يسوع ؟ بل يسألان : أين يمكث ؟ علينا إذن أن نرغب فى طريقة حياة محددة وثابتة ، ملتصقة بالمسيح ، وليس فقط مجرد لقاء عابر معه . وهكذا من الصفحة الأولى نرى أن تاريخ الرسل يضع يسوع مركزاً لكل شىء .

ليس ما أبحث عنه هو الكمال الأخلاقى ، ولا هو مفهوم مترابط جذاب للعالم ، ولا حتى عن هذه الموهبة أو تلك ، بل ولا حتى عن النعم الإلهية الخاصة ، بل أنا أطلب شخص المسيح .

لقد سأل الرب الجنود القادمين لإلقاء القبض عليه قائلاً : « من تطلبون ؟ » (يو ١٨ : ٤) فأعاد الى الأذهان سؤاله لتميذى يوحنا : « ماذا تطلبان؟ » (يو ١ : ٣٨) . لذلك فتعبير « الجميع يطلبونك » (مر ١ : ٣٧) الذى قاله التلاميذ للرب يومًا مازال يتردد اليوم أيضًا ، البعض يطلبون يسوع ليتبعوه ، والبعض الآخر يطلبونه ليقبضوا عليه . وليتهما كانتا مجموعتين منفصلتين ، ولكن – للأسف – فى حالتنا نحن الخطاة نرى التذبذب بين المجموعتين .

الرب لم يقل : « هانذا أريكم الطريق » بل قال : « أنا

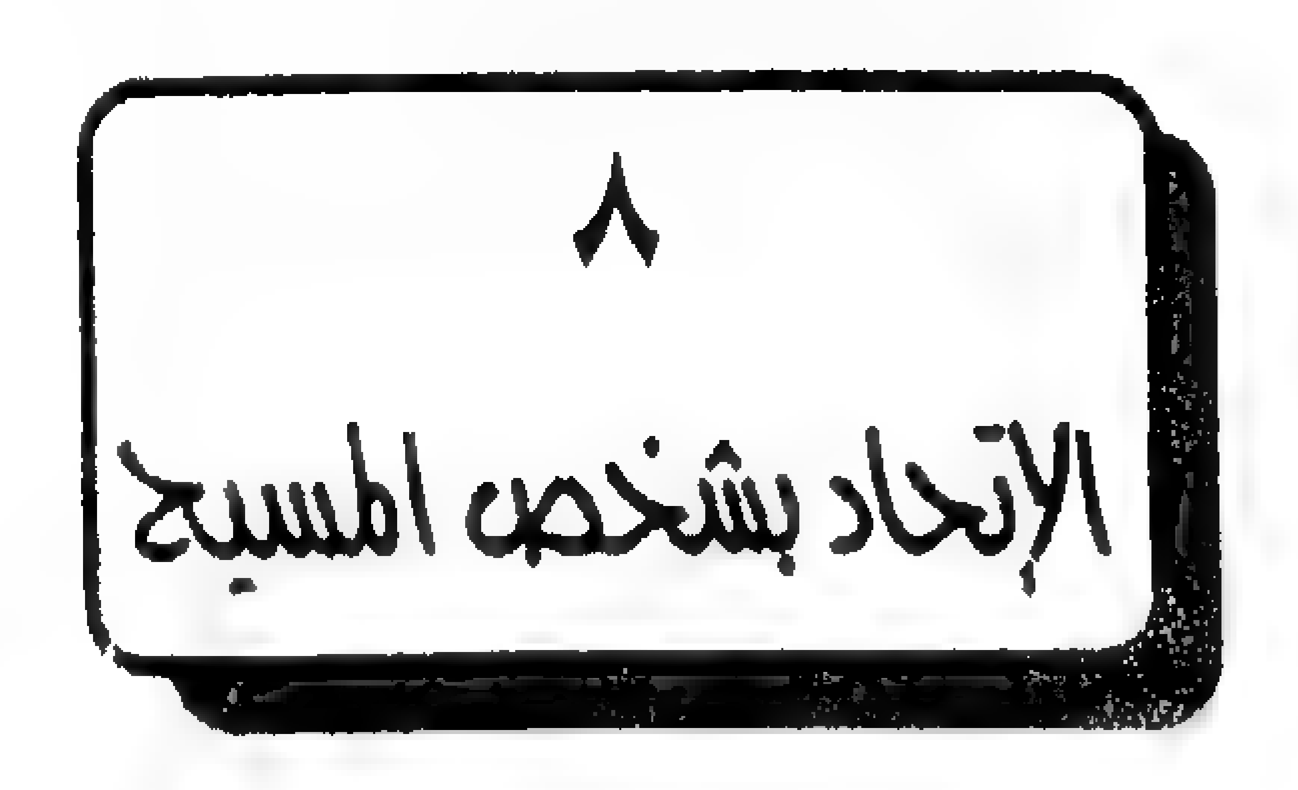
هو الطريق » . ولم يقل : « هأنذا أعلمكم الحق » بل قال : «أنا هو الحق » ولم يقل : « هأنذا أعطيكم الحياة » بل قال أيضًا : « أنا هو الحياة » (يو ١٤ : ٦) . لهذا يتحدث الرسول بولس عن المسيح بتعبير مشابه فيقول : « لى الحياة هى المسيح » (فى ١ : ٢١) . فهو قد صار لنا « من اللّه حكمة وبراً وقداسة وفداء » (١ كو ١ : ٣٠) . ونحن نستطيع أن نتكلم عنه بطريقة جوهرية لأنه جوهر كل شيء خيّر وكل عطية صالحة .

لقد تم فى المسيح استبدال الناموس بشخص حى . لذلك فلن أمتنع عن القتل والزنا لئلا أكسر وصية مكتوبة بل بسبب هذا الشخص الحبيب – يسوع – الذى تكلم وعاش ومات بطريقة تشكل أنموذجاً أبدياً .

إذن ، فيسوع يلغي – وفى نفس الوقت – يثبت الناموس ويكمله (مت ٥ : ١٧) . تمامًا كما يندفع النهر ليصب فى البحر . فرغم أن كل قطرات النهر تحتفظ بوجودها فى أعماق البحر إلا أن النهر لا يعود له وجود فيما بعد !

لهذا فالذين أدركوا هذا الاستبدال قد وجدوا طريقة خاصة لمناقشة المشكلات فى المسيح . فالرسول بولس

حين أراد أن يحذر المسيحيين من الزنا لم يستغرق فى اعتبارات أخلاقية عن الطهارة بل سألهم إن كانت أعضاء المسيح ستجعل أنفسها أعضاء زانية (١ كو ٦ : ١٥) . ولم يتحدث عن خلود النفس بل قال لهم : « إن لم يكن المسيح قد قام ... فباطل هو إيمانكم » (١ كو ١٥ : ١٤) .



فى المسيح يسوع ... الطريق ونهايته شىء واحد

وحين ندخل الى الطريق - الذى هو المسيح - نكون قد وصلنا مقدمًا الى غايته . وسوف نجد حلاً لكل مشكلاتنا . سواء كانت من المسائل العالية فى الروحيات أو من الأحداث اليومية البسيطة ، بالاتحاد بالمسيح والالتصاق به . إلا أن هذا لن يعفينا من التفكير أو استعمال الوسائل المناسبة ، ولكن تفكيرنا سيقوم بدوره فى نور المسيح .

لذلك فحينما تواجهنا أمور هامة مثل : قرار ينبغى أن نتخذه ، أو مقابلة عسيرة ، أو خطاب نكتبه ، أو علاقات

شخصية ، أو أعمال رسمية ... علينا أن نسأل : يا رب ، ماذا ينبغى أن أفعل ؟

يا بنى ... ينبغى أن تتحد نفسك بى أولاً ، وأن تثق أنك ستجد فىّ حلاً لمشكلتك ، لأنك إن رأيتنى حقيقة فسوف ترى الحل واضحاً من خلالى كل الوضوح . استخدم قواك الفكرية ، لكن فى نورى وبالاعتماد على قلبى .

لقد كانت مرثا تؤمن أن أخاها سيقوم فى اليوم الأخير . لكن يسوع يقول لها : « أنا هو القيامة » (يو ١١ : ٢٥) . هناك تعليمان فى هذه العبارة : ليست القيامة مجرد حقيقة أخروية تحدث فى المستقبل ، بل أنها أيضًا – وبطريقة محددة جداً – حقيقة واقعة معطاة منذ الآن ، وموجودة معنا حاليًا . المخلص نفسه هو سبب القيامة من الأموات وقوتها ، ونحن إذ نتحد به – من الآن فصاعداً – فسوف نتحد بأحبائنا الذين رحلوا من هذا العالم ، لا بالخيال ولا بالتذكر ولكن بالحقيقة . وهذا الاتحاد بشخص المسيح يصير ممكناً حين نضع أمامنا ونحمل فى أعماقنا صورة حقيقية ليسوع . ونحن لا نعنى بالصورة تخيلاً أو تصوراً فكرياً (مع أن هذا مفيد فى البداية) ولكننا

نعنى رؤيا داخلية أكيدة ، بلا حدود واضحة ولا يمكن وصفها خارجياً .

لقد سار بطرس على الماء (مت ١٤ : ٢٩) ، وطالما كان يركز نظره على يسوع ويسير نحوه كان فى طمأنينة فوق الأمواج ، ولكنه ابتدأ يغرق بمجرد أن نظر حوله ولاحظ الريح الشديدة فخاف ، واضطر يسوع أن يمد يده لينقذه . لو أن بطرس لم ينتبه الى الأمواج والرياح مركزاً نظره على يسوع وحده لما صار فى خطر ولما اهتز ايمانه .

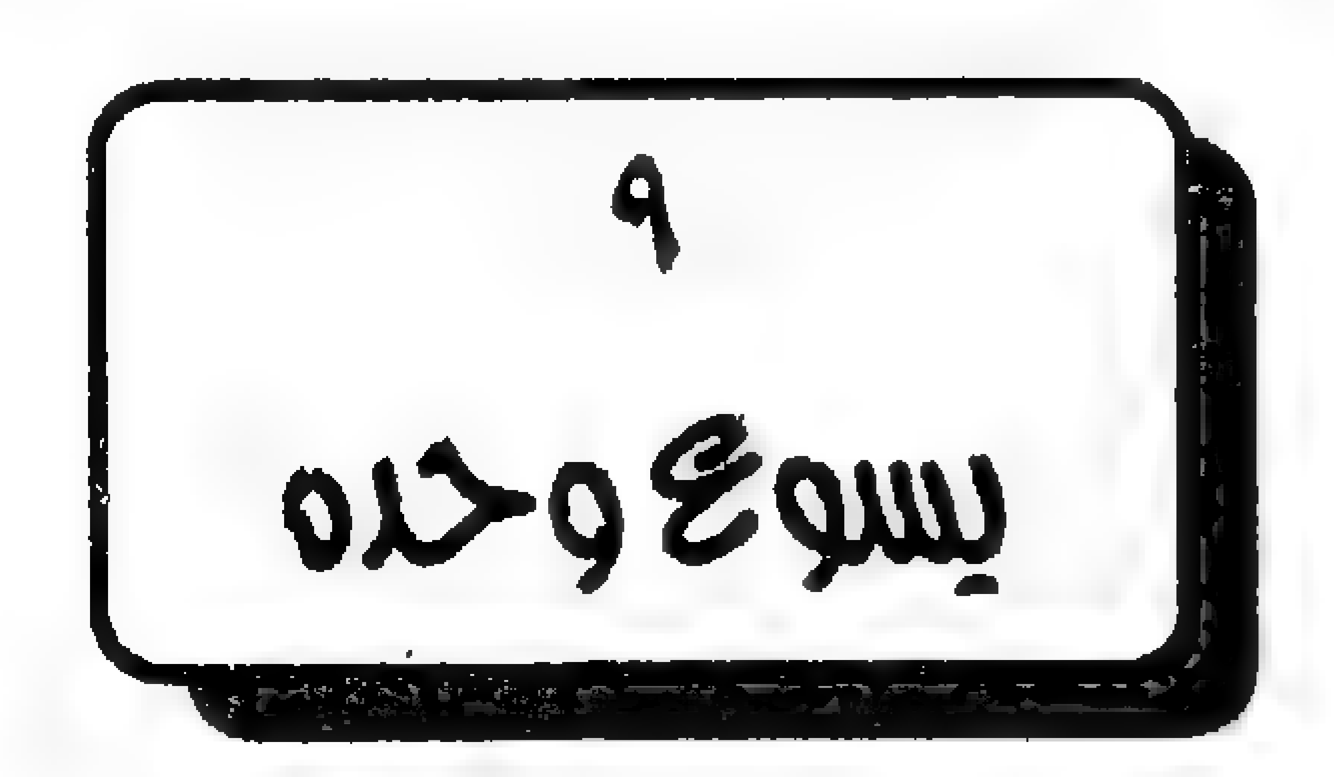
هنا أجد سر سقطاتى ، فلو أننى ركزت نظرى على يسوع وحده ، ولم أقم وزنًا للأخطار والمغريات مبتدئًا فى حوار ومساومة معها ، لاستطعت أن أسير على الماء . إن كل أخطائى تنشأ بعد أن تبدأ صورة المخلص فى الغموض أو الاختفاء من أمام بصرى .

ولكن ، كيف أضع أمامى صورة قوية ثابتة بحيث تطغى على خوف المخاطر واغراءات الخطيئة ؟ إن هذه الصورة لن تتكوّن فى دقيقة واحدة أو يوم واحد ، بل هى نتاج الشهور والسنين ، بل ربما الحياة بجملتها . فالصورة السريعة السطحية ليسوع تكون وكأنها قد رسمت على

الماء ، وتختفى مع أول نسمة ريح ، وأول تجربة . لذلك علىّ أن أكوّن هذه الصورة ببطء وعمق ، إذ أعيش فى خضوع دائم يسمح ليسوع بأن يحفر صورة وجهه فى قلبى .

إن جمال وجه المخلص يحوى بجانب الجانبية قوة العمل والتغيير ، فلو كانت نظرتنا الداخلية ثابتة على الدوام فإن جمال المخلص يلمسنا بعمق بقدر ما نداوم على النظر إليه .

ربى ... أرنى وجهك (مت ١٧ : ٢) لتذوب مشاكلى ذوبان الجليد أمام وهج الشمس ... دعنى أتأملك ليمتصنى نورك فأرتفع من مجد الى مجد متغيراً الى صورتك .



بينما كان التلاميذ نازلين من جبل التجلى لم يردا أحداً إلا « يسوع وحده » (مت ١٧ : ٨) . والمعنى الواضح لهذا

الكلام أنهم لم يعودوا يروا موسى ولا إيليا ولا المجد الإلهى بل عادوا ثانية يرون يسوع فى منظره العادى . ولكن هناك معنى آخر لهذا الكلام يمكن أن يضاف الى المعنى السابق : ان النفس التى يبهرها نور المخلص ترى هذا النور على كل الكائنات ، فمن خلال الناس والأشياء ترى «يسوع وحده» .

ومن الواضح – أثناء دعوة الرب لتلاميذه – أنه يدعو النفس بصفة فردية ، إذ أن هناك عنصر شخصى يدخل فى هذه الدعوة . فيسوع يرى سمعان (يو ١ : ٤٢) ويخبره على الفور بأنه سيكون صفا أى صخرة ، ثم يرى نثنائيل (يو ١ : ٤٧) فيقول فى الحال : « هذا اسرائيلى لا غش فيه » (فيعقوب بعد أن كان مخاتلاً أصبح اسرائيل الصادق) . وهناك فرق بين الحالتين : ففى حالة نثنائيل يرحب المعلم بحالة نفسه الراهنة ، أما فى حالة سمعان – وهذا مايحدث كثيراً – فالمعلم يرحب بما سيصير اليه نموه الروحى فيما بعد . إنه يقبل حالته المستقبلة لا الراهنة ، ويرسم أمامه – منذ هذه اللحظة – شكل خدمته المستقبلة .

قال يسوع لنثنائيل : « قبل أن دعاك فيلبس ، وأنت

تحت التينة رأيتك » (يو ١ : ٤٨) . ونحن لانعرف ماذا يقصد يسوع من هذا الكلام ، هل كانت هذه لحظات تجربة وصراع داخلى ، أم كانت حالةخطية وتوبة ؟ ولكن المؤكد أن ظل شجرة التين يمثل لحظة حاسمة فى حياة نثنائيل ، ولقد كان يسوع حاضراً بطريقة غير منظورة فى هذه اللحظة تمامًا كما يرافق الآن كل واحد منا وهو يصارع تحت تينته الخاصة .

وبعد أربعة قرون ،وتحت تينة مشابهة ، سيسمع أغسطينوس صوتاً يقول له : « خذ واقرأ » ، وتصير هذه الدعوة أيضاً حاسمة فى تجديده . وكما أن هناك أشجار تين عظيمة – وان كانت تخدع بأوراقها – سوف يلعنها يسوع (مت ٢١ : ١٩) . فهناك أشجار تين مثمرة يباركها يسوع ومن بين أثمارها نثنائيل وأغسطينوس .

إن دعوة السيد – سواء تلك التى خصت نثنائيل ، أو التى تخص كلاً منا – تحمل فى ثناياها جذوراً سرية عميقة تمس خبايا حياتنا ... « وأنت تحت التينة » (يو ١ : ٤٨) .

وحين يصيح بطرس قائلاً : « اخرج يا رب ... لأنى رجل خاطئ » (لو ٤ : ٨) ، فهو يعبّر عن أمر أساسى من

علاقتنا بيسوع ، تماماً كصيحته الأخرى : « مرنى أن آتى إليك على الماء » (مت ١٤ : ٢٨) إذ ينبغى أن نقدم صيحة الاتضاع مع صيحة الثقة فى آن واحد . ولكننا - معشر الخطاة المبررين والمدانين والمخلصين - نقدم إحدى الصيحتين بالتبادل ، أحياناً هذه وأحياناً تلك .

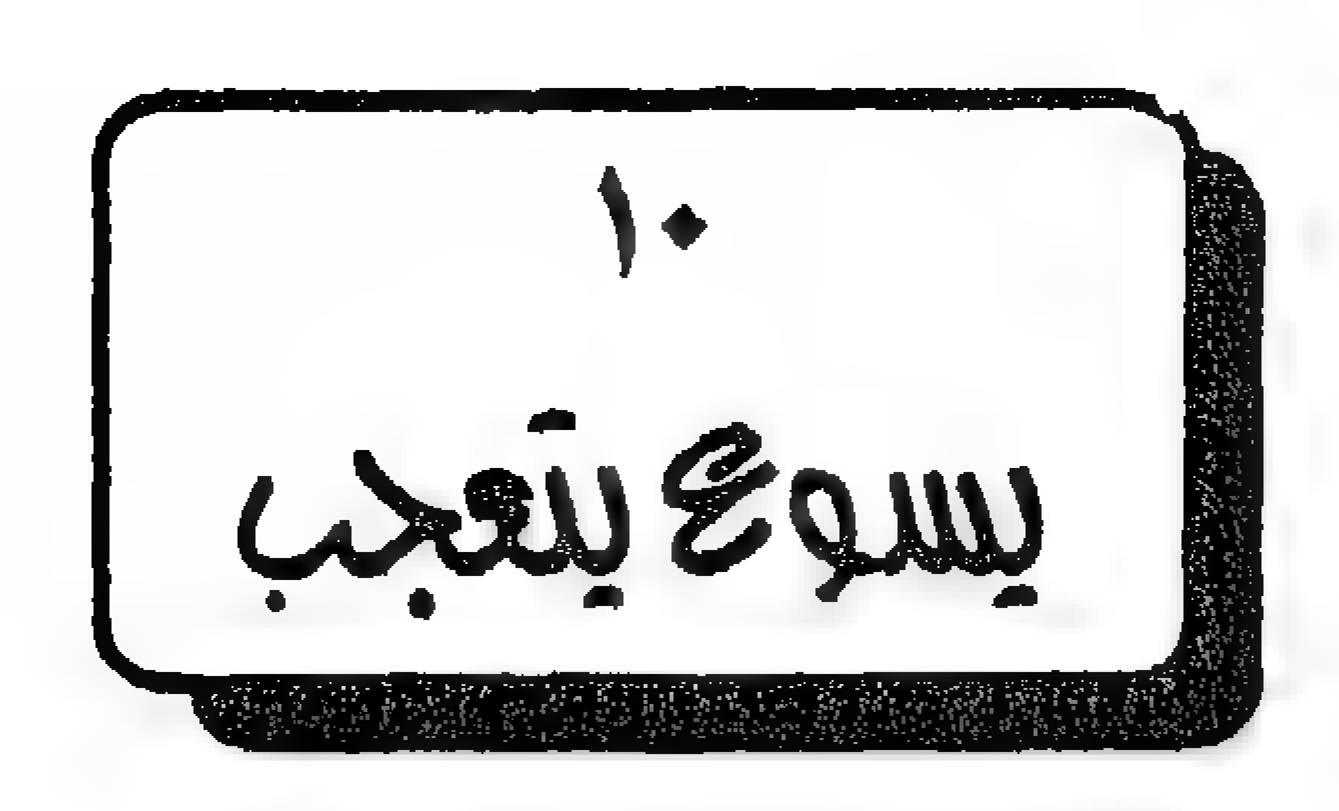
« تعال وأنظر » (يو ١ : ٣٩) .

كانت هذه عبارة يسوع لتلميذى يوحنا حين سألاه أين يمكث ؟

« تعال وأنظر » (يو ١ : ٤٦) .

هكذا قال فيلبس لنثنائيل وهو يريد أن يحضره الى المعلم . وهاتان اللحظتان كانتا ضروريتين من أجل ادراك يسوع . فقبل كل شىء ينبغى أن نبذل مجهوداً شخصياً لنرى يسوع . والرؤيا تكون اكليلاً لهذا المجهود والحق أن مجهودنا الأول هذا هو فى ذاته نعمة إلهية وهبة منبعثة من المخلص .

وهناك أيضًا لحظات من الضيق الشديد نصرخ فيها الى يسوع مثل اليهود عند قبر لعازر ونقول : « يا رب تعال وأنظر » (يو ١١ : ٣٤) . وإيماننا بالمخلص هو الجواب المطلوب لدعوته الأولى التى استخدم فيها نفس هذه الكلمات .



يحدثنا الانجيل عن مناسبتين فقط تعجب فيهما يسوع ، وكان الأمر فى كلتيهما خاصاً بالايمان .

المناسبة الأولى كانت فى الناصرة ، حين رجع يسوع اليها وأخذ يعلم فى المجمع فلم يقبلوا شخصه ولا رسالته ، فكانت النتيجة أنه لم يقدر أن يجرى أية معجزة هناك « وتعجب من عدم إيمانهم » (مر ٦ : ٦) .

والمناسبة الثانية حدثت فى كفر ناحوم ، حين أقبل اليه قائد المائة الرومانى يتوسل لأجل شفاء غلامه المريض . فقال له يسوع : « أنا آتى وأشفيه » (مت ٨ :٧) فاعترض قائد المائة قائلا : « لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفى ، ولكن قل كلمة فقط » (مت ٨ : ٨) « فلما سمع يسوع تعجب » (مت ٨ : ١٠) ، وشفى الغلام من على بُعد ، وأعلن أنه لم يجد ولا فى اسرائيل إيماناً بمقدار هذا .

فلنقارن بين هاتين الحادثتين ، فثمة أمر مدهش يكمن وراءهما ... إن أهل الناصرة اسرائيليون ، ولديهم الناموس والأنبياء ،وعندهم إيمان محدد وطقوس محددة . أما قائد المائة فهو غريب عن أصحاب العهد - أو على أكثر تقدير دخيل عليهم - ولكن يسوع تعجب من إيمانه تماماً كما تعجب من عدم إيمان الناصرة .

إن إيمان الناصرة المستقيم لم يكن إيماناً حيًا مخلصاً ، فلو كان فيهم هذا الإيمان المحي لفتحوا قلوبهم ليسوع . إنهم يتمسكون بتدين شكلى دقيق ولكن بلا ثمر ، لهذا بقيت قلوبهم مغلقة . ومع أننا لا نستطيع أن نعرف بالضبط ماذا كان إيمان قائد المائة بالمسيح ، فهو لا يعرف عن يسوع ما نعرفه نحن ، ولكنه فتح قلبه ليسوع . لقد رأى فيه مخلصًا ورباً ، وبنى إيمانه على الثقة والطاعة وليس على العاطفة . لقد كان إيمانه نبضة كيانه كله ، إذ لم يكن لديه أدنى شك فى أن يسوع قادر على أن يشفى وسيشفى فعلاً خادمه المريض ، وهكذا علق حياته - بطريقة ما - على كلمة يسوع ... « قل كلمة فقط » (مت ٨ : ٨) ... إنه توقع متضع وحار !

نستطيع ، إذن أن ندرك ما يدعوه يسوع عدم إيمان ، وما يدعوه « إيماناً عظيمًا » . وهو يرى ما فى دواخلنا ، فهل سيجد إيمان قائد المائة أم عدم إيمان الناصرة ؟ ما الذى سيتعجب منه يسوع : إيماننا أو عدمه ؟

« **أؤمن ، فأعن إيمانى** » (مر ٩ : ٢٣) .

أليست هذه الصيحة المتناقضة ، التي رفعها والد الطفل الذى به روح نجس الى يسوع ، تناسب حالتنا نحن ؟

ينبغى أن نؤمن بيسوع المسيح ، ولكن ... لماذا ؟

على كل منا أن يقدم أسباب إيمانه ، **فهناك طرق كثيرة تقود الى يسوع عددها بعدد البشر أنفسهم .**

أما أنا ... أيها الرب يسوع ... فلأكن بين الذين يؤمنون بك لأجل ذاتك ، أنا أومن بك لأنه-بمعونة نعمتك- لن تستطيع أية صورة أخرى أن تطغى على صورتك فى داخلى ، لتحل محلها أو تلاشيها ، ولأننى لم أجد كلمة مثل كلمتك قادرة على أن تدخل الى عمق أعماق قلبى . أنا أومن بك – وهنا أستعيد كلمات الخادم الذى جاء ليقبض عليك – لأنه « لم يتكلم قط انسان مثل هذا الانسان » (يو ٧ : ٤٦) . أنا أومن بك **لأنه خارجاً عنك لا يوجد سوى العدم .**

١١
أنا هو نور العالم

الجو الذى يشيعه يسوع نور وضياء . لذلك قال « أنا هو نور العالم » (يو ٨ : ١٢) . وليس ثمة أثر للسحب أو العواصف مع يسوع ، ولا للأعاصير القوية المؤلمة ، ولا للظلمة تقطعها لمحات من النور ، فليس هناك أثر للظلال لأن كل ما فى يسوع نقى كالبلور ، وهذه النقاوة تسمح لنا بوضوح محدد .

كذلك ليس هناك أسى مع يسوع لأن كل المشكلات تجد لها حلاً ، لهذا فتلميذ المسيح لا يواجه صعوبة فى اكتشاف المطلوب بل فى نوال القوة اللازمة . وهذا ما ندعوه « مأساة الوجود الإنسانى » يختفى تمامًا فى مواجهة نور المسيح النقى ، لأننا حين نرى النور سنسير فيه .

لقد لمعت ثياب المخلص أثناء حادثة التجلى وصارت « بيضاء جداً كالثلج لا يقدر قصار على الأرض أن يبيض

مثل ذلك ؛ (مر ٩ : ٢) ،وهكذا نجد أن رؤية المسيح - بل حتي الصورة التي نكوّنها له في أنفسنا - لا تنفصل عن انطباع ذلك النور الأبيض والنقاوة الباهرة . وكأنما ليسوع اتساع بحر عميق الزرقة عند دخول الليل ، وحين تسطع شمس الظهيرة تعكس عليه بياضًا يعمي الأبصار ، وأما عند الأفق فيلتقي خط البحر بخط السماء . وهكذا - يا ربي - فبقدر ما تستطيع نظرتي أن تتبعك ، أراك تختفي في مجد الآب .

والذي حدث في التجلي يحدث معنا أيضًا ، فالمعلم الذي عاش مع تلاميذه فألفوا منظره ظهر أمامهم فجأة ملتحفًا بالنور ومشعًا ، وهكذا نوهب أحيانًا أن نختبر يسوع في انطباعات جديدة وغامرة . ولا أقصد هنا أن نرى يسوع في الجسد - مع أن كثيرين قد نالوا هذا الامتياز عبر الأجيال - ولكني أتحدث عن لحظات فيها يطغى حضور المسيح علينا ويتمكن منا ، فنحس بنوره دون أن نراه ، تمامًا كما تنساب أشعة شمس الصباح خلال أجفان النائم . وهنا نرى المعلم الوديع المتواضع حسب المظهر العادي يجعلنا نرتعد حينما نحتك بقوته ... هذه لحظات تجلّ !!

وقديماً ، لم يعرف اليهود النور الإلهي إلا في صورة

عمود النار الذى قادهم فى البرية (خر ١٣ : ٢١) ، ولقد كان نوراً محدوداً ومؤقتاً ، لشعب معيّن وخلال حقبة معيّنة ... أما الآن فيسوع يعلن نفسه نوراً « للعالم » ، **إنه النور الأبدى الشامل الذى « ينير كل إنسان آتٍ الى العالم»** (يو ١ : ٩) .

مبارك أنت يا رب ، لأن نورك ينعكس على كل القلوب ولأنه مهما بدا مشوهاً إلا أنه موجود فى كل جنس وفى كل معتقد دينى .



« وأقام إثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا » (مر ٣ : ١٤) . إن العلامة الأولى التى تميز الرسول أنه كان مع يسوع ، أما نزوله الى حقل الخدمة فأمر ثانوى تابع لهذه الحقيقة . ولكن الأمر لا يقف عند حد القرب من يسوع ، فهو يريد أن يحصل عليهم ليكونوا معه . هناك

فرق بين أن نكون فى حضرته وأن نكون بين يديه كملك له ، كمادة خام ينفخ فيها حياته ويشكلها كما يشاء .

ولقد سأل عبد رئيس الكهنة بطرس قائلاً : « أما رأيتك أنا معه فى البستان ؟ » (يو ١٨ : ٢٦) ، لذلك يلزمنى أن أسأل نفسى : هل كنت أنا مع يسوع ؟ وهل لا أزال معه فى البستان على جبل الزيتون ؟

وحين يقول يسوع « أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا » (يو ١٧ : ٢٤) ، فهو لا يقصر حديثه عن السماء حيث سيرى تلاميذه مجده . بل يحوى معنى أشمل : إذ يجب أن يكون التلميذ حيثما يكون المعلم . لهذا ينبغى أن أفحص قلبى جيداً ... هل أنا مع يسوع فى الأماكن التى كان فيها أثناء حياته الأرضية ؟ وهل أنا حاليًا معه فى الأماكن واللحظات التى هو حاضر فيها اليوم ؟

قال يسوع بعد العشاء الأخير « أنا آتى أيضًا » (يو ١٤ : ٣) . ولكن هذا المجىء لا يعنى المستقبل فقط ، بل هو مجىء حاضر على الدوام . انى أسمع وقع أقدام المخلص على الطريق ، قريباً من باب بيتى ، أسمعه يقول « هأنذا واقف على الباب وأقرع » (رؤ ٣ : ٢٠) . إنه يأتى اليوم ، إنه قادم هذه الساعة ، إنه يأتى ... يأتى الى الأبد !

لقد سار الرب مع تلميذى عمواس ، لكن « أمسكت أعينهما عن معرفته » (لو ٢٤ : ١٦) ، وهكذا يسوع معنا كل الطريق ، فى شوارع المدينة أو فى أزقة القرية ، يسوع معى هناك . هو موجود بالحقيقة بمقتضى طبيعته الإلهية التى تشمل الكون كله . ومع أن جسده الممجد عن يمين الآب لكن ناسوته المتحد باللاهوت يوصل لنا - بطريقة ما - فاعلية حضوره فى السماء فيصير قريباً منا. وهكذا أراه بعين الإيمان فأختبر حضوره فى كل لحظة .

لست وحدى أبداً ... لا فى حجرتى ولا خارج بيتى ... فيسوع دائماً معى ، أستطيع ان انصت اليه دواماً ، وأحادثه باستمرار . « ألم يكن قلبنا ملتهبًا فينا إذ كان يكلمنا فى الطريق ؟ » (لو ٢٤ : ٣٢) .



« هلم ورائى » (مت ٤ : ١٩) ، هذه هى الصورة العادية للدعوة التى كان يقدمها يسوع لتلاميذه . وينبغى

أن نتبع يسوع فلا نكون إلا حيث يكون هو ، ولا نذهب إلى حيث لا يذهب . ثم نسير وراءه أينما ذهب ، **ولا نتبعه من بعيد بل نلتصق به تمامًا** ، كذلك لا نتخطاه ، ونسير أسرع منه بل في انسحاق نسير **وراءه.**

وعلينا ألا ننشغل بأمر آخر غير السير وراءه ... « ماذا لك ، **اتبعني أنت** » (يو ٢١ : ٢٢) . **إن ما يحدث ليوحنا لا يخص بطرس ، وما يخصه فقط هو أن يتبع يسوع .**

يا بني ... لا تقلق نفسك بالتفكير في أمور كثيرة وأناس كثيرين ، أو بالتفكير في حياتك وما أنجزت من أمور ، أسألك أن تنفذ أمراً واحداً وبسيطاً : اتبعني .

يبدو أن تلميذي يوحنا تبعا الرب من بعيد ، ويبدو أنه شاء ألا يلحظ ذلك إلا حين التفت وراءه وسألهما (يو ١ : ٣٨) . وهكذا يلزم بين الحين والآخر أن أسير وراء يسوع دون أن يتحدث الي ، ودون أن يدعني أرى وجهه ، ولكن يكفيني أن أعرف أنه هناك قريب مني جداً ، وحينما يشاء فسوف يلتفت نحوي .

وكثيراً ما يحدث عندما نسأل يسوع الا يجيبنا بل يبادلنا السؤال ... هذا ما كان يفعله مع معلمي اسرائيل .

ونحن نخـاف مـن أسـئلة المخلص خـوفـًاغـريزيًا ، ولكن حينما نرحب بالأسئلة ونحبها فإننا حالاً نسمع جوابه .

والمسـيح يتـحـدث بسلطـان عـجـيب وفـريد ، حـتى أن اليهـود بـهـتـوا مـن تعليـمـه لأنه « كـان يكلمـهـم بسلطان » (مت ٧ : ٢٩) ، نحـن نحس بهـذا السلـطان حين يتـحـدث يسوع فى أعـماق نفوسنا فى الخـفاء ، وكذلك حين نسـتمع الى أحاديث الانجيل . وهـنا نجد دافعاً قوياً للايمان بكلمته ، فـمـن يسـتطيـع أن يتكلم هـكـذا ؟ أى انسـان يجـرؤ على أن يطلب هـذا الخضوع المطلق .

هناك « الكلام » وهـنا « الكلمـة » . الكلام الذى أعطيتنى قـد أعطيتـهم » (يو ١٧ : ٨) ... هـذا مـا قـاله يسـوع للآب بعـد العـشاء الأخـيـر ، ولكنه فى مكان آخـر يذكـر « كلمـة » الآب (يو ١٤ : ٢٤) الكلام ليس رسـالة متكاملة فى وحدة واحدة ، بل كلمـات متناثرة تنطبق على مـناسبات خـاصة . ولكن بين هـذا الـعدد الهـائل من الكلمـات التى ترن فى آذانى كـقطع نقـود صـغـيـرة ، هناك كـلمـة واحـدة مـرسـلة لى شـخـصـيًا : الكلمـة التى يهـمـنى أن أميـزها كـنطـق نطق خصيصاً لأجلى ، وعلىّ أن أتوصل اليها بأن أنتبه تماماً الى كل كلمة .

١٤
الحاجة الى واحد

لقد هرب يسوع من الذين أرادوا أن يجعلوه ملكاً ، ورفض أن يعطى رأيه بخصوص الصراع القائم بين اليهود وقيصر (مت ٢٢ : ١٨) . بل إنه رفض أن يقدم معونة لمن طلب اليه تقسيم الميراث بينه وبين أخيه ، **لأن الذى جاء لينزع جذور الأمور العالمية التى تستعبدنا لا يشجعنا على البحث عنها ، لأن « الحاجة الى واحد »** لقد تركت مريم كل شيء لتستمع الى كلامه فاختارت « النصيب الصالح » (لو ١٠ : ٤٢) ، **بهذه الطريقة تتغير المسائل البشرية فى المسيح** ، فهذا الكلام ينطبق على كل المسائل الأرضية طالما كنا نبحث عن كلمة المخلص .

ونحن لا نسمع تأنيبًا لمرثا لأنها تهتم بالواجبات المنزلية ، بل إن يسوع يوبخها لأنها « مهتمة ومضطربة » لأجل « أمور كثيرة » (لو ١٠ : ٤١) ، وبهذا لم تعط نفسها فرصة سماع الكلمة ، ولكن من الممكن – فى وسط

المشاغل اليومية الضرورية وأثناء تأدية الخدمات المختلفة - أن نجلس كما عند قدمي المسيح ونصغى إليه . **فمهما كان انشغالنا فى العمل ، فإن هذا لا يمنع امكانية التطلع المباشر نحو مخلصنا يسوع .** ولو أن مرثا فعلت هذا لاختارت النصيب الصالح بدرجة لا تقل عن مريم ودون أن تتوقف عن الخدمة .

وبعد أن آمن أهل السامرة قالوا للسامرية : « إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن لأننا نحن قد سمعناه » (يو ٤ : ٤٢) ، وهكذا تأتى لحظة تصير فيها الكلمة التى قالها لنا يسوع والتى جعلتنا نتجه إليه ذات سلطان حتى أنها تجعل إيماننا نابعًا من خبرة مباشرة واتصال شخصى، فنشتاق فيما بعد لا لأن نسمع عن يسوع بل لأن نسمعه شخصياً .

لقد قال يسوع أن الانسان « يحيا بكل كلمة تخرج من فم اللّه » (مت ٤ : ٤) ، وهناك فارق كبير بين أن أتذوق من حين لآخر كلمة اللّه ، وبين أن أحيا بها جاعلاً إياها خبزى اليومى ، الضرورى والجوهرى . وهو يقول هذا عن كل كلمة إلهية ، لأنه مهما بدت هذه الكلمة غريبة - بالنسبة لاحتياجاتنا الحاضرة - إلا أنها تحمل إلينا بالضرورة قوة محيية بشرط أن نعرف كيف نستخرجها .

١٥
الانصات لصوت يسوع

يا بنى ... لدى الكثير لأقوله لك ... كم أحب ان أتحدث معك وأظهر لك ذاتى ... ليتك تلتفت إلىّ وتصمت ... ليتك تنصت إلىّ . ولكنك لا تعطينى إلا فرصًا قليلة لأفتح لك قلبى فيها . هل ترغب فى محادثتى ؟ ولو لبضع دقائق كل يوم ؟

لسوف نتعود تمييز صوت يسوع بسرعة بقدر ما نصغى إليه ، وحينئذ سندرك بسهولة نغمته وأسلوبه الخاص ، فهو أسلوب البساطة والوضوح الهادئ ، لأن **الكلمة الأصيلة التى يقولها المخلص تختلف فى وقعها عن أصداء عقلنا الباطن وعن الأفكار التى يقحمها علينا العدو ، إذ نحس فيها براحة كاملة وثابتة مع حسم تام** لكل المجادلات والشكوك .

« خرافى تسمع صوتى » (يو ١٠ : ٢٧) ... وبالاصغاء

إلى صوت يسوع والتعود عليه ، نجد فى شخص المعلم راعياً لنا ونصير رعية له فعلاقة الراعى بالقطيع تكشف عن مرحلة أخرى بعد علاقة المعلم بالتلميذ ، فالراعى يطعم خرافه ويأويها ، ويحملها على منكبيه . وهذه العلاقة تتميزّ بالعطف والاشفاق .

« أنا هو الراعى الصالح » (يو ١٠ : ١٤) ... وفى الأصل اليونانى : « أنا هو الراعى الجميل » ، لأن الصلاح والجمال – فى اليونانية – لا ينفصلان . وليس صلاح راعينا داخليًا فحسب ، بل ينعكس على الخارج أيضًا ، إنه يشع ويجذب ! وهنا يشترك مع الجمال . لذلك نجد الراعى – فى الفن المسيحى القديم – شاباً تسطع عليه نعمة الصبوة وجمالها ، مما يجعلنا نرى فى هذه الصور شاعرية الربيع لأن شباب المخلص جديد على الدوام .

ويدعو الراعى خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها (يو ١٠ : ٧) ، وهكذا فقبل تحقيق العمل الرعوى ، وقبل قيادة القطيع نرى يسوع يتقدم ليتعرف على كل فرد فى قطيعه شخصيًا ، فالعلاقة الشخصية لها الأهمية الكبرى والأولية على الخدمة .

« **أنا هو باب الخراف ...** » (يو ١٠ : ٧) ، ولم يقل يسوع أنا هو باب الحظيرة ، بل هو يركز هنا على علاقته الشخصية بكل الخراف .

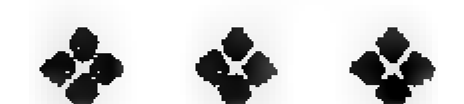
« **إن دخل أحد بى ...** » (يو ١٠ : ٣) ... يريد بهذا أن يؤكد ضرورة اجتياز هذا الباب ، أى أن نعبر - بطريقة ما - خلال يسوع ، فهو فى وقت واحد الباب الكبير و« الباب الضيق » (مت ٧ : ١٤) ، ولكى نجتازه يجب أن نتناسب مع أبعاده . فنزيد ونتسع ، وكذلك ننسحق ونحدد أنفسنا ، حسب قياس المسيح .

من المؤكد أنه ينبغي أن ننسحق ونحدد أنفسنا ، ولكن... لماذا نزيد ونتسع ؟ لأن هذا الباب ضخم وعال بحيث أن من لا يزيد ويرفع أنظاره إلى فوق ويصعد إلى أعلى سوف لا يستطيع أن يجده .

ولكن ... ماذا سيجد ذلك الانسان الذى دخل الباب وعبر خلال المسيح ؟ أولاً : سيجد **الأمان** « يخلص ... » ، ثم **الحرية** ... أى الاستعمال الحر للعالم الذى خلقه اللّه . « يدخل ويخرج ... » ، ثم **الغذاء** ... « يجد مرعى ... » (يو ١٠ : ٩) .

ثم يقول الرب – بعد أن أعلن أنه الراعى الصالح – أن «الراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠ : ١١) وهو هنا لا يضيف ميزة جديدة لفكرة الراعى الصالح ، بل يوضح معنى سبق أن تضمنه الكلام . فهو لا يعنى « أنا هو الراعى الصالح ، وأكثر من ذلك ، سأبذل نفسى عن الخراف » بل قال : أنا هو الراعى الصالح ولذلك أبذل نفسى عن الخراف » فالرعاية والذبيحة هما فى الحقيقة أمر واحد ولا ينفصلان أبداً ، لذلك فتقديمه ذاته ذبيحة عنا أمر متضمن فى تعبير « الراعى الصالح » ، فالتضحية حتى إلى الموت جزء لا يتجزأ من جمال الراعى وصلاحه .

وهكذا نرى فى صورة الراعى أكثر من مجرد مقطوعة شعرية جميلة ، فآلام المسيح منطبعة عليها كالعلامة المائية التى تطبع فى الورق أثناء صنعه .



١٦
الراعى يبحث عن خرافه

كثيرون يرفضون تبعية المسيح كما فعل ذلك الشاب الذى « حزن لأنه كان غنيًا جداً » (لو ١٨ : ٢٣) ... فماذا صار من أمر هذا الشاب ؟ ... نحن نميل إلى الظن أنه عاد إلى يسوع بعد أن أعطى كل أمواله ، ونسمح لأنفسنا أن تتعلق بهذا الرجاء لأنه « حزن » ، فلم يمضِ غاضبًا أو متمرراً بل « حزيناً » وهكذا كان فى طريق التوبة ، فالحزن يحمل بذوراً خصبة ولهذا فإذا كنت أرفض الدعوة فعلىّ - على الأقل - أن أحزن بسبب هذا الأمر .

« **بع كل مالك** ... » (لو ١٨ : ٢٢) ، **هنا نرى تصميمًا** من يسوع فى طلبه من ذلك الشاب ، **لأن قلب يسوع لين ومشتعل كالذهب السائل ولكن إرادته صلبة كالماس** ، ونحن نرى فيه حلاوة هضاب الجليل وحدّة جبال اليهودية الحارقة .

كان الراعى يبحث عن خرافة ، وقد قدم لنا نموذجًا

من طرقه في الاقتراب من الخراف في قصة السامرية كان مجتازاً من اليهودية إلى الجليل ، ومع أنه كان هناك طريق آخر عبر الضفة الأخرى للأردن ليتفادى السامرة إلا أن الانجيل يقول « كان لا بد له أن يجتاز السامرة » (يو ٤ : ٤) نعم ، لا بد أن يجتاز السامرة ليلتقي بالسامرية في سوخار . هذه هي ضرورات النعمة ، وهذا هو تفكير المسيح ... ترى هل حياتي منسوجة بهذا الفكر ؟

ولقد قصد يسوع أن يلتقي بالسامرية قرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه ، فلقد ارتبط السامريون بولاء خاص لهذين البطريركين . إن يسوع يحب أن يقابلنا في أرضنا الخاصة ، في المكان الذي نشعر فيه أننا في بيوتنا آمنين .

لقد أحب يسوع « مرثا وأختها مريم ولعازر » (يو ١١ : ٥) ، ونلاحظ أن الانجيل لم يقل أنه أحب عائلة بيت عنيا ككل ، بل أنه أحب كل فرد من أفرادها بمحبة خاصة مختلفة ، وهذا الاختلاف ليس بالضرورة في الدرجة ولكنه اختلاف في النوع فقط ، بل تأكيد .

ثم طلب يسوع من السامرية ماء ليشرب (يو ٤ : ٧) ، مع أنه الذي يستطيع أن يعطيها كل شيء ولكنه يضع نفسه

منها فى موضع المحتاج إليها . ولما أظهر اتضاعه من بدء المحادثة أعطى السامرية فرصة لتمسكها عليه ليسهل عليه أن يجد فرصة عليها ، فالطلب الذى طلبه يسوع باتضاع فتح الباب للحديث .

وفى بيت الأبرص ، فى بيت عنيا ، « بيت الفقراء » تقبل يسوع على رأسه مثل « مسحة ملوكية » ذلك الطيب الغالى الثمن الذى أحضرته امرأة فى قارورة (مر ١٤ : ٣) ... أنه لتناقض عجيب ... **ففى نفسى البرصاء سأكسر عند قدميه قارورة طيب ، وأضع فيها ناردينا حقيقيًا من حزنى وطاعتى .**

لكن ، لنرجع إلى بئر يعقوب ... هل هناك اختلاف بين يسوع هناك ، ويسوع فى بيت عنيا ؟ أنه بذاته ... يقدم نفس المشاعر الحانية والسلطان البسيط . ولما تعب جلس على البئر ينتظر السامرية ... جلس ينتظرنى !

يا مخلصى ... لقد تعبت فى البحث عنى وجلست ، ولم تكف عن بحثك رغم طول الطريق ووعورته ، وها أنت جالس الآن فى ذلك المكان الذى تعلم أننى سأمر به ، **فأنت تريدنى أن أتلامس مع تعبك فى نفس الوقت الذى أتلامس فيه مع حبك ... فذلك التعب يشرح الحب .**

١٧
يسوع الخادم المتألم

بعبارة صغيرة شفى يسوع مفلوج بيت حسدا الذى كان ينتظر تحريك الماء (يو ٥ : ٨) ... والذى كان يحدث هناك من تحريك للماء يمثل التعاطى المنتظم والرسمى - بنوع ما - للنعمة ، ولكن يسوع لا يكف عن أن يقترب من الناس ليشفيهم شفاءً مباشراً ، أولئك الذين لا يستطيعون النزول فى البركة . على أن هذا ليس مدعاة لأن نتجاهل أو نحتقر بيت حسدا ، بل لنفهم أن **يسوع غير متقيد بشئ** ، فهو قادر على كل شئ دون أن يكون مشروطاً بشئ .

« **ولكنى أنا بينكم كالذى يخدم** » (لو ٢٢ : ٢٧) ... **إذن، فلن التقِ بيسوع طالما أننى أبحث فى أماكن الكرامة** ، بل يجب أن أفتش عنه فى الأماكن التى **يختفى فيها** ، **هناك فى المتكأت الأخيرة وبين أعضائه المتألمة والمنسحقة** .

كثيرون لا يبحثون عن يسوع هناك ، لذلك فهم لا يستطيعون أن يؤمنوا به ، أو هم يؤمنون به إيماناً إسمياً... وهكذا نرى أن زكا كان ينبغي أن ينزل من على الجميزة ليلتقي بيسوع وسط الجماهير (لو ١٩ : ٦) .

ولما أراد يسوع أن يلتقي بالسامرية على بئر يعقوب اختار ساعة الظهيرة لأنه يعرف أنها تخرج لتستقي فيها يوميًا ، **فيسوع يحب أن يلتقي بنا أثناء احتياجاتنا وأعمالنا اليومية .**

ونلاحظ أن الأعمى الذى شفاه يسوع رأى الناس أولاً «كأشجار يمشون» (مر ٨ : ٢٤) ، ولكنه بعد اللمسة الثانية «رأى كل شئ واضحاً» (مر ٨ : ٢٥) . لذلك فطالما أن يسوع لم يلمس أعيننا نرى الناس بطريقة مشوهة ومظلمة ، فأنانيتنا تقيم حجاباً بيننا وبينهم ، أما حين يلمسنا يسوع نستطيع أن نلاحظ حقيقة كل كائن وما يتميز به عن غيره . **وهذه النظرة الجديدة تتحسن بلمسات المخلص المتكررة .**

كما نلاحظ أن الانجيل الرابع يذكر بالتفصيل حادثة

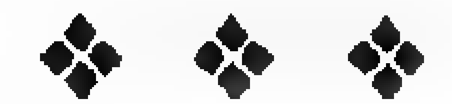
غسل المسيح لأرجل تلاميذه ليلة العشاء الأخير (يو ١٣ : ٤) . فنرى يسوع يخلع ثيابه ويأخذ منشفة ويتزر بها ، ثم يصب ماء فى مغسل ، ويبدأ فى غسل أرجلهم ، ثم يمسحها بالمنشفة . **هنا يسوع يخدم ، وبأكمل طريقة ممكنة** ، ولا يحذف أى جزء مطلوب فى العمل ، لذلك لم يذكر الانجيل الحادث وحسب ، بل تناول أدق تفصيلاته .

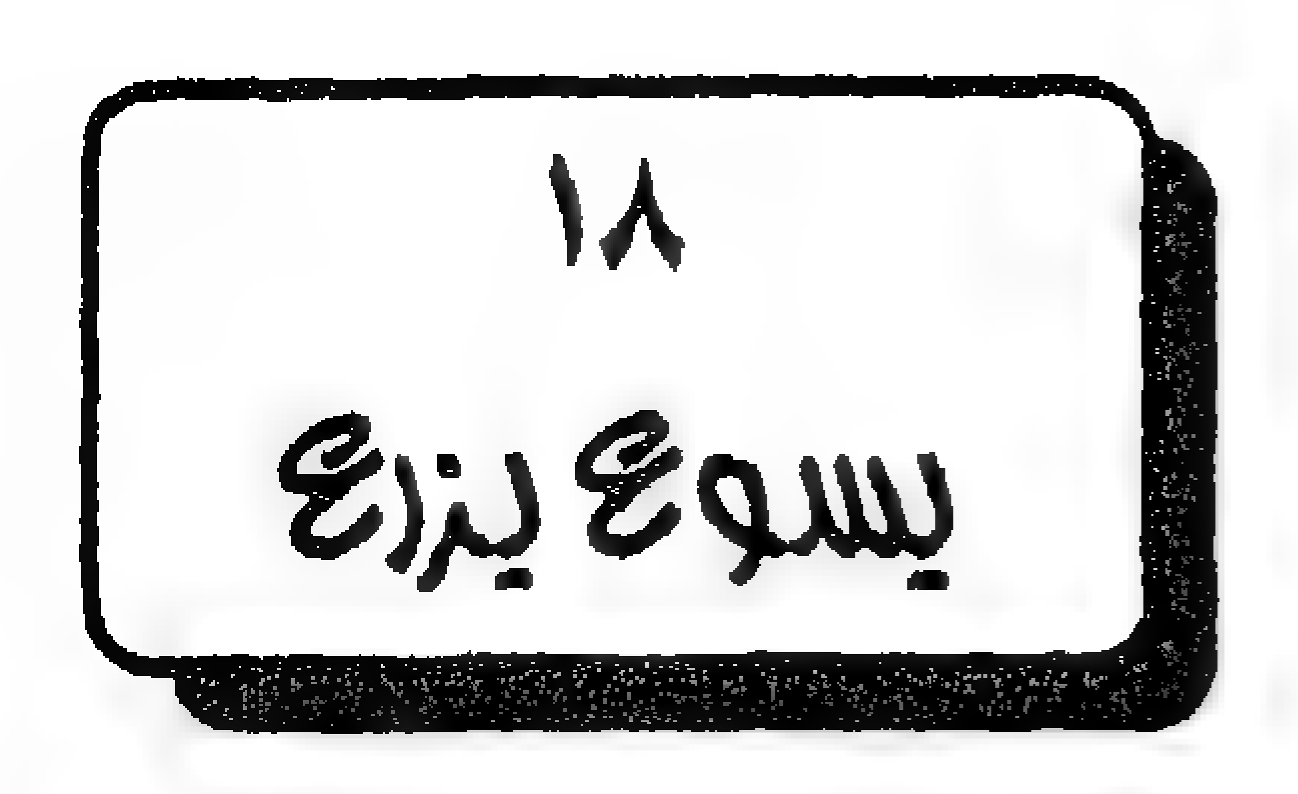
ولقد أحبت مريم المجدلية يسوع أكثر من تلاميذه فيما يبدو ، فهو الذى أخرج منها سبعة شياطين (لو ٨ : ٢) ، لذلك نرى أن المخلص يتملك على النفوس التى تحبه ، وهو يفعل هذا بكل قوته لأن تلك النفوس استطاعت يوماً أن تفتح قلبها لتأثيرات معادية . إذن أيتها النفوس التى سيطر الشيطان عليها ... تشجعى !

ولو أنى قصدت أن أختار كلمة واحدة من كلمات المخلص لتحمل بشرى الأخبار السارة لغير المؤمنين لاخترت بلا تردد هذه . « **تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم** » (مت ١١ : ٢٨) . ترى ، هل نسمى هذا مجرد تعاطف إنسانى ؟ كلا ... لأن أحداً لا

يجرؤ أن يتكلم هكذا . هذه الآية تعلن كل شئ ، فهى دعوة إلى كل المتعبين فى هذا العالم ، وإلى كل الذين يثقل الشر كاهلهم . إنها اعلان عن شخص المسيح أنه العلاج الوحيد لكل آلام البشرية وأتعابها ، فهل يجرؤ إنسان - مجرد إنسان - أن يقول هذا ؟ هذى عطايا المحرر للمقبلين إليه : راحة وسلام وعزاء . لذلك ، فمع أن هذه الآية لا تشرح علانية كل الاعلانات الإلهية ، إلا انها تحملها جميعًا كبذرة فى ثناياها .

يا مخلص ... إنى أرى الجموع المتألمة منطرحة على الأرض ، تمد ذراعيها نحوك في توجع وأنين وسعى متعثر... وأنت تجذبهم نحوك بينما هم لا يدرون ... أنهم فيك سيجدون الشافي الذى يعزى ويغفر .





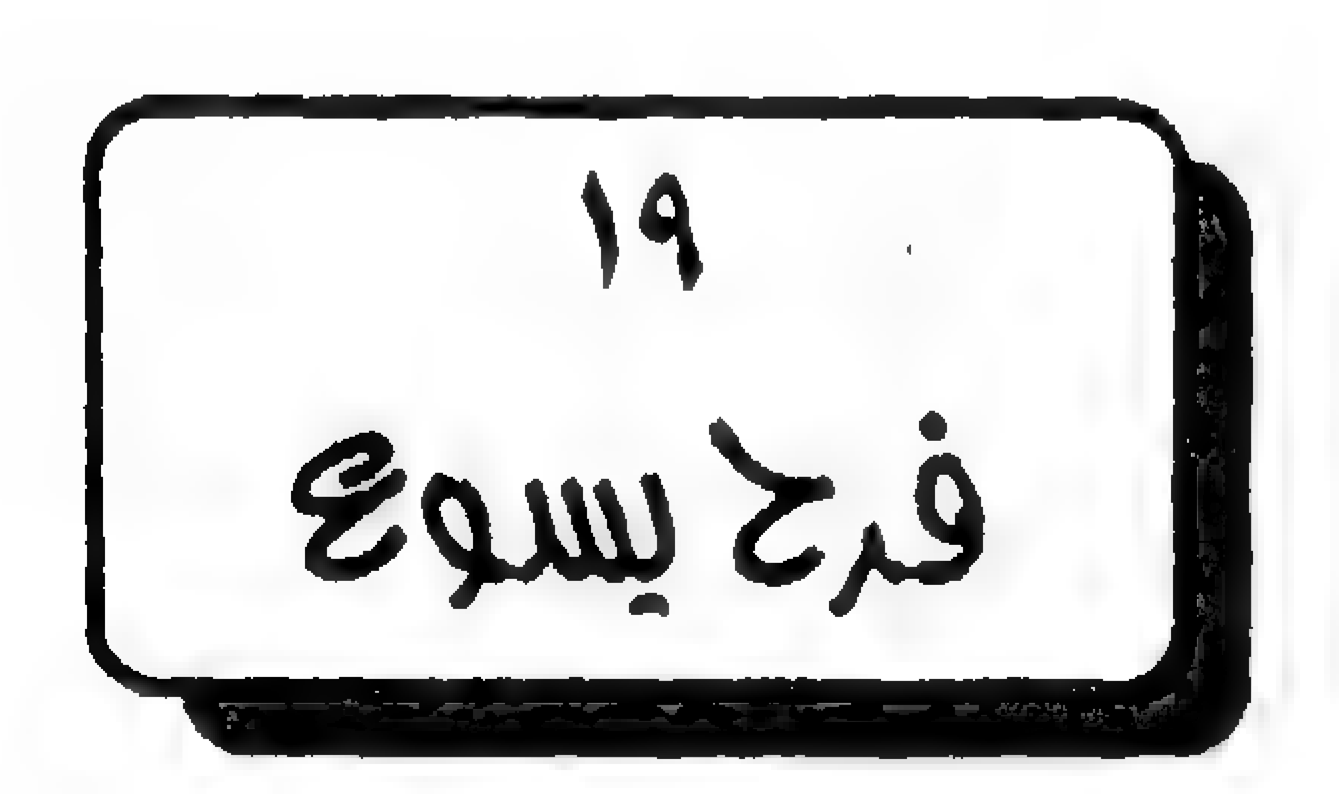
« خرج الزارع ليزرع » (مت ١٣ : ٣) ... هكذا يبدأ مثل الزارع . ولقد رأينا يسوع يزرع عبر القرون والأجيال ، وهأنذا أراه اليوم يتقدم ليبذر بذاره التى تارة تسقط بين الشوك ، ومرة تقع على الطريق ، وثالثة تسقط على الأرض الجيدة . يسوع يزرع باستمرار حتى أثناء الحروب المدمرة والمذابح المهولة ، ولن يكف عن الزرع حتى نهاية العالم .

وأنا ... إما أن أخزن أو أن أزرع ، أستطيع أن أخزن فى بؤس ، أو أن أزرع كيسوع . فيا ربى ... أن كل ما أجمع بدونك هو عدم بلا فائدة ، وكل ما أزرع بدونك يتبعثر ويبقى بلا ثمر ... علمنى إذن أن أزرع معك .

يا بنى ... تذكر أن الزارع قد خرج ليزرع ، ها أنا أعبر أمامك وأبذر بذارى ، فهل تريد حقًا أن ترافقنى وتزرع

معي ؟ إذن ، فابدأ بأن تترك منزلك وتعرض نفسك للجو الرديء والخطر الخارجي . ولكن ... **لا يكفي أن تخرج من منزلك ، ينبغي أن تخرج من ذاتك أيضاً .**

يا بني ... **أنا الزارع والبذار معاً** ، وأنت لا تستطيع أن تزرع معي مادمت لا تملك البذرة أولاً . لذلك لا يمكنك أن ترافق الزارع ما لم تستقبله أولاً كبذرة في داخل قلبك ، وينبغي أن تنمو هذه البذرة في داخلك ، وينمو الزرع فيك، حتى يملأ كيانك كله ويفيض خارجاً عنك ، حينئذ ستأتي وتزرع معي .



يسوع لا يعد بالسعادة في ذاتها أو في صورها المتنوعة ، لكنه ينادي ويعلن « **التطويبات** » (مت ٥ : ٣) ، وكلمة « طوبى » في العبرية واليونانية تعني : **بركة سماوية وفرحاً فائقاً للطبيعة** . هذا هو الفرح الذي ينقله إلينا يسوع : فرح وعد به المساكين والودعاء والأنقياء

والمطرودين ، فـرح يناقـض أفـراح الانسـان العـادية ، وهـو مـؤسـس على قـيـم غـيـر القـيـم المألوفـة . فـالتطـويـبـات مـوضـوعـة فى مـسـتـوى يعلو فـوق الانسـان . أمـا بالنسـبـة إلينا فـالأمـر مـختلف تمامـاً إذ يجب أن نبـحـث عنها ونكتشـفـهـا كشـئ جديد تمامـاً .

هـذه التطـويبـات فـى مـتنـاول أيدينا ، فـهـل هناك فـرح أوضـح وأقـوى اشـعـاعـاً من فـرح أولئك الذين يمـتلكون يسـوع فى قـلـوبهـم ؟

قـال الرب : « يـثـبت فـرحى فـيكم ، ويكمل فـرحـكم » (يو ١٥ : ١١) . وبين الفـرحين فـرق هام ، فـفـرح المخلص - مثل الحـيـاة الالـهـيـة - مطلق ومـوجـود دائمًـا وبحالة كاملة وغيـر قابل للزيادة ، أمـا فـرح التلامـيـذ فـهـو سـيـزداد لينمو ويصـيـر كامـلاً .

ترى هل نكون مـراعين الـدقـة حين نقـول ببسـاطة أن يســوع يـتكلـم ؟ الأدق أن نـقــول : أنه حـين يتـكلـم يعلن شـخـصـه ، فكلمـاتـه تتـخطى حـدود الكـلام ، وكل مـنهـا تعلن شـخـصـه الفـائق المحـبـوب ، فـالمحب حين يسـتـقـبل كلمـات حبيـبه فـهـو يسـتقـبل أكثـر من مجـرد كلمات ... يسـتـقـبل المحبوب ذاته .

٢٠
يسوع والدموع

« بكى يسوع » (يو ١١ : ٣٥) ... وهكذا لم يمنع الفرح الكامل الذى لطبيعته الإلهية أن تدمع عينا إنسانيته ، ولقد أضاف البشير بعض اللمسات عند حديثه عن دموع يسوع على قبر لعازر فقال : « انزعج بالروح ... واضطرب » (يو ١١ : ٣٣) ترى ، كيف نفهم مشاعر المسيح هذه ، وهو الذى كان يعلم أنه سيقيم لعازر فى النهاية ؟ ربما ينبغى أن نرى فى حزن المخلص أكثر من ألم على صديق رحل ، هو سيقيمه في لحظات .

يسوع يبكى على مصير الانسان الشامل ، على الموت الذى يصرع طبيعتنا الانسانية التى خلقها اللّه على قدر عظيم من الجمال . يسوع يبكى على آلام البشرية التى نتجت عن الخطية . وها هو الإله المتأنس يأخذ المأساة على عاتقه ، وأحزانه هذه هى مشاركة لأحزان البشرية .

قال يسوع لسمعان الفريسى ، بينما كانت المرأة الخاطئة تغسل قدميه بدموعها : « أترى هذه المرأة ... » (لو ٧ : ٤٤) . وهذا هو نفس السؤال الذى يقدمه لى يسوع الآن : **أترى هذه المرأة ؟ هل قبلت قدمىَّ مثلها ، وهل غسلتهمابدموعك** ؟

لقد بكى بطرس بكاءً مراً (مت ٢٦ : ٧٥) لما نظر إليه يسوع وهو خارج من بيت قيافا ملتفتاً إلى الرسول الذى أنكره .

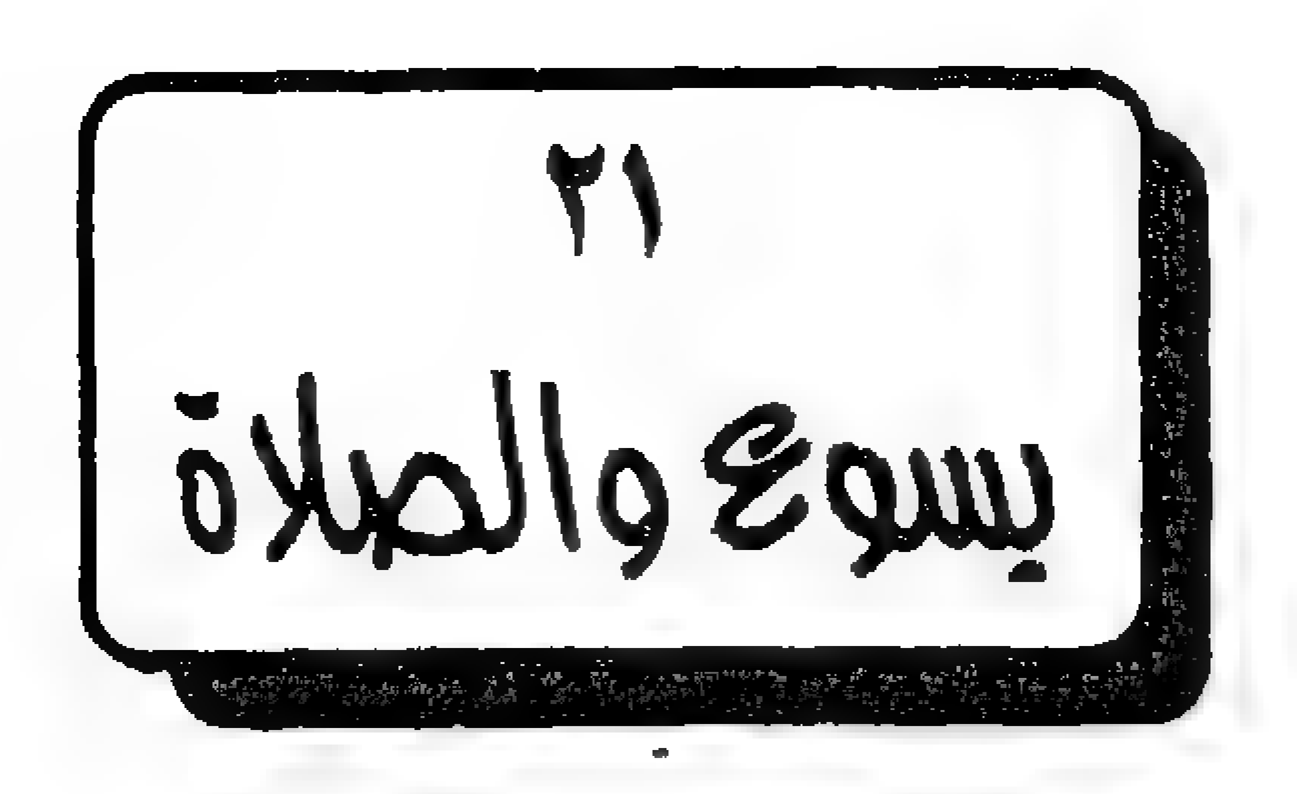
ربى يسوع ... أحب أن ابكى عند قدسيك ، ولكنى لا أملك الدموع . مقلتاى جافتان ، ومثلهما قلبى . لقد أصبح عسيراً أن أبكى فلقد مرت سنوات طوال ... أين هى دموع شبابى ؟ لم تكن من أجلك يا رب ، ولكن أعطنى اليوم قدرة البكاء من أجلك بنفس دموع الشباب . اضرب الصخرة وفجر ينبوعًا حيًا من الدموع ، عمدنى فى دموع الانسحاق .

« ويل لكم أيها الضاحكون » (لو ٦ : ٢٥) ، نعم ، فلقد تحدث الانجيل مرات عديدة عن يسوع وهو يبكى ، ولكنه لم يذكر مطلقًا أن يسوع كان يضحك . فالضحكات الصاخبة والثقيلة ، المثيرة والساخرة ، لا تتناسب أبداً مع

صورة المخلص كما رسمها الانجيل . ويسوع لم يقل لأتباعه : « أضحكوا » ، بل قال لهم « افرحوا وتهللوا » (مت ٥ : ١٢) ، وقال لهم هذا فى مواجهة الاضطهاد ذاته ، ينبغى أن نبتهج ونتهلل ، ولكن هذه العاطفة التى تسبب لنا فرحًا بهيجًا ينقلها إلينا يسوع وهى شئ آخر غير الضحك .

ولكن لا يمكن أن نظن أن يسوع لم يبتسم حين سمح للأولاد بأن يأتوا إليه ، لا بد أنه ابتسم فى محبة تأسر القلوب . وحين قال يسوع للمرأة الفينيقية : « ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » (مر ٧ : ٢٧) ، ألا نظنه كان يبتسم أثناء نطقه هذه الكلمات القاسية فى مظهرها ؟ لأنه بدون هذه الابتسامة ما كان يمكن للمرأة أن تستعمل تشبيه الكلاب التى تأكل من الفتات الساقط من مائدة أربابها ؟

ولعل دموع يسوع وابتسامته كانت قريبة جداً من بعضها ، بل لعلهما امتزجت أحياناً . فالشفاه أحياناً تبتسم بينما العينان غارقتين فى الدموع ، تماماً كما نرى قوس قزح فى وقت المطر ، وكما تشرق الشمس الساطعة على القمح يعلوه الندى .



قال الرب يسوع لتلاميذه ، قبل أن يعلمهم كلمات الصلاة الربانية : « صلوا أنتم هكذا » (مت ٦ : ٩) . وكلمة « هكذا » لا تعني نفس الكلمات فحسب ، بل تعني أيضًا الطريقة التي قيلت بها . فلقد قصد الرب أن نصلي بكلماته هذه ، وبالأحرى قصد أن نصلي بنفس اتجاهاته - بقدر ما نستطيع كخليقة خاطئة - وذلك بالدخول في روحه .

وفي الجلجثة - بالذات - نستطيع أن نرى كيف كان يصلي يسوع أثناء آلامه الأخيرة على الصليب ، فهو يصرخ قائلاً : « يا أبتاه ، في يديك أستودع روحي » (لو ٢٣ : ٤٦) . ولعل الذين دخلوا في ضيقات مرة وأحسوا بانغلاق أبواب النجاة أمامهم ، ثم وجدوا في الثقة الإلهية ملجأ لهم ، يدركون معنى هذه الصرخة .

كم أشتهى أن ترفعنى إليك يا سيدى ... تمسك بى وتحملنى ، فأنا حين أردد كلمة « فى يديك ... » أقصد أن ألتصق بك دوامًا ، متعلقًا بشخصك ، مرتبطاً بك ، ثابتًا فيك . وحينئذ فقط أستطيع أن أختبر معنى الصلاة .

لقد صلى يسوع صلاته الأخيرة بصوت عظيم ، صوت طغى على كل ما عداه فى الداخل والخارج ، صوت عبر عن جهاد مروع ... لذلك فإن كل قوى الوجود تحققت فى تلك الصرخة .

أريد أن أشعر يا رب فى صلاتى ومن خلالها أنه لا وجود لى ، ولا استطاعة لى أن أوجد إلا « فى يديك ... » .

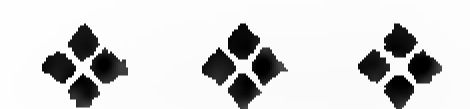
لقد حذر يسوع تلاميذه من أن يكرروا الكلام باطلاً أثناء الصلاة (مت ٦ : ٧) ، وكثيرا ما تأتى لحظات فى حياتنا نشعر فيها أننا محتاجون إلى البساطة وتجميع النفس بحيث تبدو الصلاة الربانية طويلة جداً بالنسبة إلينا، ونحتاج لأن نعبر عن صلاتنا فى كلمة واحدة ، وهذه الكلمة أعطيت لنا ... يسوع ! يسوع ! فلنرددها – لا بطريقة آلية – بل بالروح والحق .

إن كل أسـرار خلاصنا متجمعة فى اسم يسوع ، وحين نردد هذا الاسم يدخل يسوع حقيقة إلى قلوبنا ، ويملأها تمامًا حتى ما تتشبع به لدرجة أن يصير الكلمة «جسداً» فينا ، هذا ليس هو «التجسد» بالمعنى الحرفى ، ولكنه مشاركة فيه بالنعمة . إن اسم يسوع ينتشر حينئذ فى النفس كما تنتشر بقعة الزيت بهدوء فى كل الاتجاهات ، فاسمه المبارك يحوى العالم كله كما تتجمع ألوان الطيف فى شعاع واحد من النور ، ففى الكلمة خلق الآب كل شئ ، ولو أننا دعونا باسم يسوع على كل شئ فى الوجود ، فإن العالم كله سوف يتجلى ويتغير فى المسيح ، وحينئذ يأخذ معناه الحقيقى .

ربى يسوع ... صلِ فىّ . دعنى أصمت لأسمع صوتك، فلو أننى صليت بطريقتك ، أى لو أننى تركتك لتصلى فىّ فلسوف تدخل كل أحداث العالم وخلائقه فى صلاتى وتتأثر بها .

فلنتأمل الآن فى «يسوع والخليقة» لأن العلاقة الوثيقة التى تربط يسوع بالخليقة لا تخص الانسان

فحسب ، بل كما أن اللّه خلق كل شئ بالكلمة ، كذلك فالإله المتجسد يجذب نحوه كل شئ . كما قال القديس بولس إن الخليقة كلها « أخضعت للبطل » (رو ٨ : ٢٠) أى للشر الطبيعى والكوارث وقسوة القوانين الطبيعية ، وأنها « تئن وتتمخض معًا إلى الآن » (رو ٨ : ٢٢) وأن « توقع الخليقة ينتظر استعلان أبناء الله » (رو ٨ : ١٩) .



٢٢
يسوع والطبيعة

فلنتأمل الآن فى علاقة يسوع بالطبيعة ... فنحن نذكر حديث المسيح عن زنابق الحقل التى فاقت سليمان فى كل مجده (مت ٦ : ١٩) ، وهذه دعوة إلى التعجب من الجمال الإلهى ، بل إلى الثقة فى أبينا الذى إذا كان يلبس العشب الذى سرعان ما يطرح فى التنور هكذا ، فكم بالحرى يلبس أولاده . هذا وجه من أوجه علاقة يسوع بالطبيعة ولكنه ليس أعمق الأوجه ، فالتعبير الرمزى عن الطبيعة لا يستوعب كل معناها . حقًا ، الطبيعة كتاب مفتوح نقرأ فى دقائقه - وبطريقة غامضة - حقائق الحياة الفائقة للطبيعة ... حقائق اللاهوت ، ولكن هذا ضرب من ضروب عبقرية الوجدان الرمزى الذى عاش فى القرون الوسطى ... ولكن هناك ما هو أكثر من الرمزية .

الطبيعة موجهة ، وهى تبذل جهداً منسقًا ساعية نحو يسوع المسيح ، فيسوع هو اتجاه كل تطور وغايته ،

هو السبب الخفى – أو أبرة البوصلة بحسب تعبير رجال الطبيعة – الذى نحوه تتجه كل الظواهر الطبيعية .

أثناء الدخول الانتصارى لأورشليم قال الرب للفريسيين : « إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » (لو ١٩ : ٤٠) ، حين احتجوا على التلاميذ . ويسمع بهذا الكلام يظهر وظيفة الطبيعة الحقيقية التى لا يلحظها إلا المؤمن ، فلقد قاست الطبيعة من انحرافات مؤلمة بسبب الخطية الأصلية ، لكنها تصرخ نحو المخلص (رو ٨ : ٢٢) ، فكل العناصر تميل نحو الإله المتأنس : الحجارة والصخور تهيئ له قبراً ، والماء يحصل على غايته العظمى فى المعمودية التى تخلق الانسان جديداً ، وشجر الزيتون ينتج زيت مسحة المرضى وشفائهم باسم المسيح ، وحبوب القمح وعناقيد العنب تنتج الخبز والخمر ليستعملهما المخلص ويحملهما سر جسده المكسور ودمه المسفوك ، ومن الأشجار صنعت خشبة الصليب .

وهكذا فإن الطبيعة كلها تحمل إحساسًا واحداً نحو المخلص ، وتأخذ معها الجهد البشرى فى الحصاد وصنع الخبز وإنماء الكروم وما إلى ذلك . كل هؤلاء يساعدون فى رفع الطبيعة ، أى فى تغييرها وتجلّيها .

٢٣
يسوع والخليقة

يسوع هو المشتهى ، بل هو الشهوة نفسها ، لا شهوة النفس فحسب بل شهوة الخليقة كلها . فإذا ما تأملنا وجوده فى البرية « مع الوحوش » (مر١ : ١٣) ، نجد أن هذه الكلمة البسيطة تفتح لنا آفاقاً واسعة للتأمل الخاشع . أليس هناك احتمال أن يلمس بقربه وبنعمته الخليقة الحيوانية ؟ نستطيع أن نلمس قيمة عالم الحيوان وكرامته لما يقول يسوع عن العصافير : « وواحد منها ليس منسيًا قدام اللّه » (مت ١٠ : ٢٩) ، فكل حيوان موجود سابقاً فى فكر اللّه ، وقد أحبه حتى قبل ميلاده ، وصار موضوع اهتمامه وعنايته الحانية .

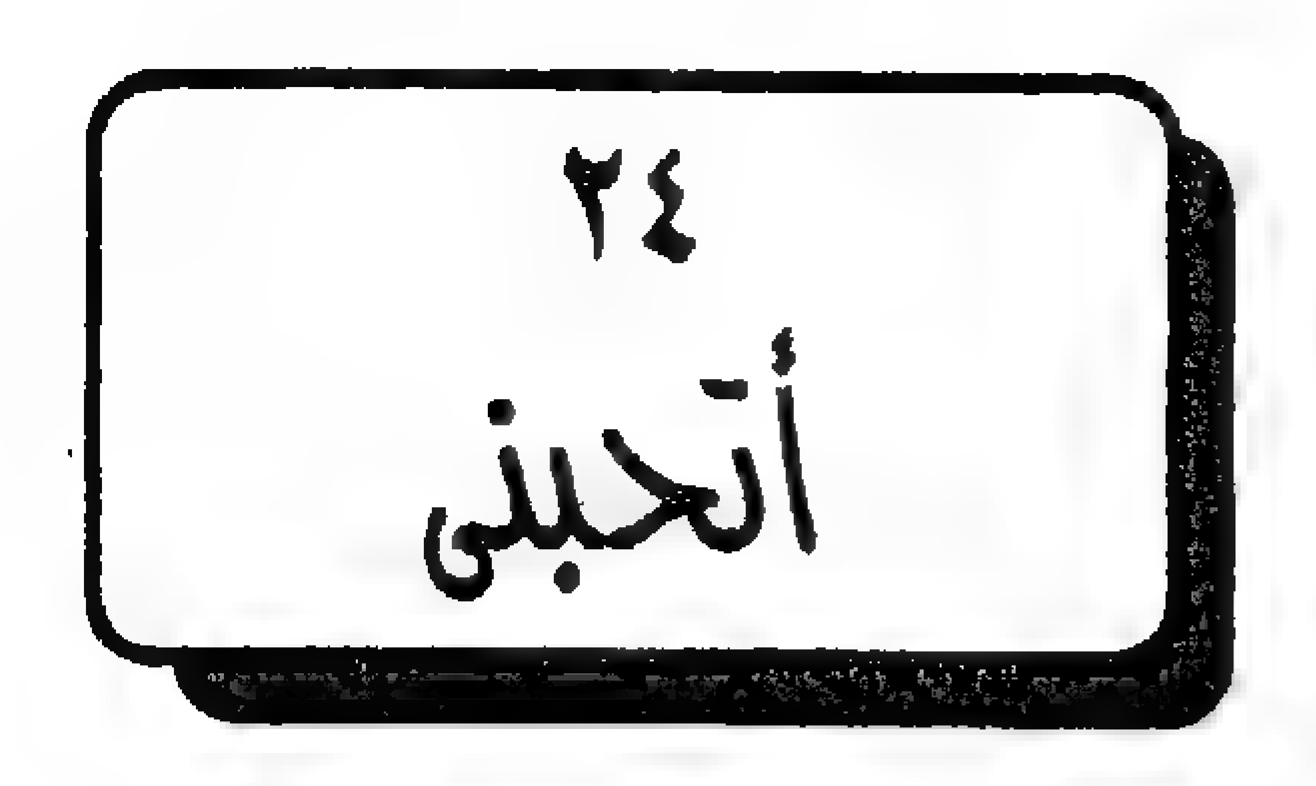
وإذا ما تأملنا دخوله بيت زكا ، : وقوله : « ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك » (لوقا ١٩ : ٥) ، نجد علاقته واضحة بكل الخليقة ، وندرك رغبته فى أن يصير معروفاً

منا في منازلنا أولاً . لذلك يلزم أن نكتشف شخص المعلم في محيط العائلة أولاً ليبدأ أن يضيء . ومع أن الرب أرسل تلاميذه ليكرزوا بملكوت اللـّه في المدن البعيدة (لوقا ١٠ : ١) ، إلا أنه يقول لآخر : « **اذهب إلى بيتك** ، وحدث كم صنع الرب بك ورحمك » (مر٥ : ١٩) فيسوع لا يعفي انساناً من الشهادة له .

وربما تكون الشهادة في بيوتنا ومحيطنا الطبيعي أشق من شهادة الرسول المتجول ، **فهي تحتاج إلى كثير من الشجاعة والاتضاع ، وإن كانت لا تحتاج إلى مزيد من الكلام** ، فهذه الشهادة المنزلية يمكن أن تقدم في صمت مطلق . **وكل ما يلزمنا هو أن « نتغير » نحن ، وهذا التغيير يثير تفكير الناس فيتغيرون هم أيضاً .**

قال يسوع للمفلوج : « **احمل سريرك واذهب إلى بيتك** » (مت ٩ : ٦) ، **فالسرير سيصير شهادة للمسيح** ، ويسترعي التفات الذهن إلى تلك المرض العضال الذي شفي منه الرجل . سرير المفلوج علامة تساعدنا على الاعتراف بيسوع ، فهو لا يريدنا أن ننسى أو نتجاهل ما أنقذنا منه ،

وما قد غفر لنا . أما المحيطين بنا الذين يعرفون كيف تغيرنا فلابد أن يتحققوا من أن هذا ما عمله المخلص فينا .



٢٤
أتحبنى

قال يسوع لسمعان بطرس : « أتحبنى ؟ » (يو ٢١ : ١٥) ، وهذا السؤال مازال موجهًا لكل واحد منا . فهو سؤال أساسى ، وإجابتى عليه تحدد علاقتى بالمخلص. ترى ... هل أجرؤ أن أقول مع بطرس : « يارب، أنت تعلم كل شئ ، أنت تعلم أنى أحبك » (يو ٢١ : ١٧) . ياللأسف ، كثيراً ما يحدث فى حياتى وأعمالى ما يتعارض مع هذا التصريح .

أفلا أقول فى انسحاقى : أننى لا أملك هذا الحب ؟ أفلا أقرر فى بساطة وربما فى صدق : « لا يارب ، أنا لا أحبك ؟ » . ولكن هذا الانكار الجذرى لا يعبر عن الحقيقة كلها لأننى حتى فى أبشع سقطاتى لا أجد أن نكر المخلص

وصورته يتلاشيان تماماً من ذهني ، بل هما لا يكفان عن جذبي إليه . يا له من موقف معقد ! فالخاطئ يصرخ من أعماق شقائه محولاً وجهه نحو المسيح ، مشتاقاً أن يتحد به رغم فقدانه للقوة التي تحطم قيوده .

إن الجواب الوحيد الذي يمكنني أن أقدمه هو : « يارب ، أنت تعلم كل شئ ، أنت تعلم أنني أريد أن أحبك ، فأعطني حبك » .

ثم يوجه الرب لبطرس أمراً للعناية بحملانه وغنمه وإطعامها قائلاً : « أتحبني أكثر من هؤلاء ... » (يو ٢١ : ١٥) ، وهكذا يلزم أن تعبر كل سلطة ومسئولية في الكنيسة عن حب عظيم جداً ، فالراعي – حسب فكر المسيح – مكرس للحب ، وغسل الأقدام قبل العشاء الأخير هو السر الأساسي الذي يكمن وراء حالة الرسولية .

لقد سأل الرب بطرس : « أتحبني ... ؟ » ، ولكن يحق لكل عضو مؤمن أن يسأل راعي القطيع قائلاً : أتحبني ... ؟ » ، أتحبني أكثر من هؤلاء ، أكثر من كل من أحبوني حبًا طبيعيًا ؟ كيف نقلت إليّ حب الآب الذي

أرسلك ، ذلك الحب الذى يفوق الطبيعة ؟ متى غسلت قدمى ؟ .

وهناك آية مخيفة تدينني هى : « إن كنتم تحبوننى فأحفظوا وصاياى » (يو ١٤ : ١٥) ، وحفظ الوصايا معناه تنفيذ أوامر المخلص ، وهكذا يصير المعنى الواضح للآية هو : إن علامة الحب الحقيقى ليسوع هى حياة تتفق مع تعاليمه . ولكن ، هناك معنى آخر يضاف للمعنى الأول : لا يستطيع أن ينفذ وصايا يسوع إلا من يحبه . إنه حب يسبق الطاعة كشرط لوجودها ومع أن الطاعة تحفظ الحب وتعطيه الثبات والضمان إلا أنها تستمد منه أصلها وغايتها وفاعليتها الباطنية .

كيف أطيعك يا سيد ... إن كنت لا أحبك ؟ إذن ، حولنى إلى حبك وحينئذ أعرف كيف أطيعك ، إننى فى ملء الضعف البشرى أحتاج إلى حبك الحافظ لأستطيع أن أطيع كلمتك ، فإن لم يمتلئ قلبى بالحب ستدخل إليه التجربة حتمًا . أملأ قلبئ للتمام ، كما يملأ الانسان كوب الماء حتى حافته ، وأرفع من نفسى كل الشوائب . إن رجاء

الحصول على حبك هو الذى يمنعنى من اليأس فى حفظ وصاياك .

هذا الملء الكامل للقلب يعبر عن الوصية العظمى : « أحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، وتحب قريبك كنفسك » (مت ٢٢ : ٣٧) . فإذا امتلأ القلب فإنه يقودنا إلى سؤال دقيق للضمير : هل هناك مكان فى قلبى لأى شئ آخر غير يسوع - فى هذه اللحظة بالذات ؟

ترى ... هل غفر الرب خطايا المرأة الكثيرة لأنها أحبت كثيراً (لو ٧ : ٤٧) ، أم أنها أحبت كثيراً لأنه غفر لها الكثير ؟ النص اليونانى لحديث المسيح يحمل كلا المعنيين، وكلاهما يعبر عن حق عميق . فالأول يجعل الغفران استجابة للحب المقدس ، ولكن حتى فى هذا المعنى فالحب الذى إستدعى الغفران هو نعمة أعطيت لها سابقاً كمحرك داخلى من المخلص . أما المعنى الثانى الذى يصير فيه الغفران مولداً للحب ، فنرى مبادرة المخلص تسود الموقف ، إذ أنها تثير فى النفس أول حركة للتوبة ، هذه التى بدونها لا يصير الغفران . وبعد التوبة والغفران يأتى

الحب كاستجابة من النفس التى غفر لها . ولو أننى أحببت يسوع بقدر ما غفر لى ، أفلا يشتعل قلبى بالحب ؟

قال الرب : « أثبتوا فى محبتى » (يو ١٥ : ٩) ، والأصل اليونانى يوضح بجلاء أن الحديث هنا ليس عن حبنا ليسوع بل عن حبه لنا ، وكأنه يقول : « أثبتوا فى الحب الذى لى ، الحب الذى هو حياتى ، ويعبر عن كل طبيعتى » ولكن الحب الذى فى يسوع هو مصدر حبنا له ، وفاعلية هذا الحب أيضاً .



٢٥
حمل الله

لا يكفى أن أعرف يسوع معلماً يتحدث إلىّ أو صديقاً يجذبنى إليه ، فالراعى الصالح هو أيضًا حمل اللّه . إنه الذبيح الذى قدم نفسه ضحية من أجلى . ونحن لا نستطيع أن نعرف قلب المسيح بدون المعرفة العميقة للحمل .

لقد أعلن يوحنا السابق عن يسوع أنه « **حمل الله** » (يو ١ : ٢٩) ، وهذا الاعلان هو الحدث الأول فى حياة المخلص العلنية بعد معموديته . إنه الاعلان الذى قاد تلميذى يوحنا ليتبعا يسوع فى صمت ، فاعلان الحمل هو المدخل إلى سر الخلاص .

لقد اكتشف يوحنا الحمل اكتشافاً حقيقياً ، أو بالحرى أن استعلان المسيا كحمل قد أعطى له . فلقد قال : « **أنا لم أكن أعرفه** » (يو ١ : ٣١) . ثم تحدث المعمدان عن الفأس التى وضعت على أصل الشجرة ، كما تحدث عن واحد أقوى منه (مر١ : ٧) « رفشه فى يده ، وسينقى بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (مت ٣ : ١٢) ، إلا أنه لم يقل شيئاً عن الحمل . أما الآن فهو يعلن الحمل ، ذلك الذى يعطى صورة عكسية للرفش المروع . لذلك فقد كان اعلاناً غير متوقع ، وحالما رأى المعمدان أن يسوع مقبلاً إليه فى غد يوم عماده صاح قائلاً: « **هوذا حمل الله** » (يو ١ : ٢٩) ، فكانت صيحته لا من شفتيه فقط بل من أعماق قلبه أيضاً .

ولقد كرر يوحنا نداءه بعد العماد بيومين قائلاً :

« هوذا حمل الله » ، ولكن يسوع لم يكن فى هذه المرة مقبلاً نحو يوحنا بل كان سائراً نحو غايته النهائية .
هاتان المناسبتان أعلن فيهما مكتشف الحمل - فى كلمات قليلة - شهادته له ، الأولى حين يقبل الحمل إلينا ، والثانية حين يكون الحمل فى طريقه إلى الآخرين .

وينطق يوحنا بكلماته وهو شاخص نحو يسوع : « هوذا حمل الله » ، ها هو الحمل ، ركزوا انتباهكم فيه . وبهذا يدعونا لننظره ونتحقق من حضوره ، لأن الأصل اليونانى للكلمة يعنى النظرة الطويلة النفاذة . ترى ... هل نظرت إلى يسوع نظرة عابرة ، أم أننى ضمنت فى نظرتى شيئًا من الإصرار الهادئ والتعمق ، كما فى نظرة المعمدان ؟

يسوع هو حمل اللّه ... ليس الحمل المختار من البشر بل المعد من اللّه نفسه لأجل الذبيحة ، الذى كان - ولا يزال إلى الأبد - يخص الله نفسه . وهو الحمل الوحيد الذى يليق باللّه لأنه كامل وبلا عيب . إنه خُروف الفصح الحقيقى الوحيد الذى بذبحه يكون الخلاص .

ولنذكر أن الحمل هو **أصغر ما في القطيع** ، وهذا الصغير عنصر أساسي في مفهوم « حمل الله » ، لأن فكرة الحمل تتحد مع فكرة الطفولة .

٢٦
الحمل وبساطة الطفولة

أعطت الملائكة علامة للرعاة ليتعرفوا بها على مخلصنا وهي هذه : « **تجدون طفلاً مقمطاً ومضجعاً في مذود** » (لو ٢ : ١٢) ، إن ميلاد المسيح تم دون أن تصحبه أية علامة من علامات القوة ، بل بالعكس فالإله الذي صار جسداً سيعرف أولاً في فقره واتضاعه وضعفه . وهكذا كطفل مقمط كان تحت رعاية من حوله من البشر ، فهو يعتمد عليهم ولا يستطيع أن يقاوم أحداً ، لا يقدر أو يدافع عن نفسه ولا أن يباشر إرادته . **وكما بدا يسوع في ميلاده هكذا سيبدو في آلامه ، وهذا ما يريدني أن أختبره أيضاً .**

دعا يسوع الأطفال إليه قائلاً : « دعوا الأولاد يأتون إلىّ ، ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت اللّه » (مر ١٠ : ١٤) ، ثم أخذ ولداً واحتضنه وأقامه فى الوسط قائلاً : « من لا يقبل ملكوت اللّه مثل ولد فلن يدخله » (مر ١٠ : ١٥) .

إن تلميذ المسيح البالغ لا يلزمه أن ينزع عنه كل الصفات البشرية التى يمتلكها الطفل بعد ، ولكنه يحتاج لأن ينزع عنه خطايا كبر السن ، ويسعى لامتلاك الامكانيات الايجابية التى للطفل . لأن صعود الانسان نحو اللّه - فى نظر المسيح - هو هبوط فى نفس الوقت ، فهو يحتوى بالأخص على « تصغير » للنفس لأن « الأصغر فيكم جميعاً هو يكون عظيمًا » (لو ٩ : ٤٨) . لذلك ففى كنيسة وليد بيت لحم ، كنيسة الحمل ، هناك درجات اتضاع غير منظورة .

ويفضل يسوع أن يستخدم الوسائل الفقيرة والبسيطة التى يستخدمها الطفل أيضاً ، فلقد كان ممكناً أن ينزل المن من السماء ولكنه أشبع الجموع بخمسة أرغفة من شعير وسمكتين صغيرتين كانت لدى أحد الأولاد (مت ١٤ : ١٩) ، إلا أن هذه الأرغفة والسمك ينبغى أن

نحضرها إلى يسوع ليشكر عليها ويوزعها بيده على التلاميذ . إن الإمكانيات البسيطة – التى لطفل صغير – تصير لها فاعلية عظيمة لو باركها يسوع .

لقد دعا يسوع تلاميذه بعد العشاء الأخير قائلاً : « يا أولادى الصغار (١) » (يو ١٣ : ٣٣) ، ليس فقط « يا أولادى » بل « أولادى الصغار » ، والكلمة المستعملة تحوى معنى الصلة والعاطفة العميقة وتظهر حنانه الخاص نحو أفراد لم ينضجوا بعد .

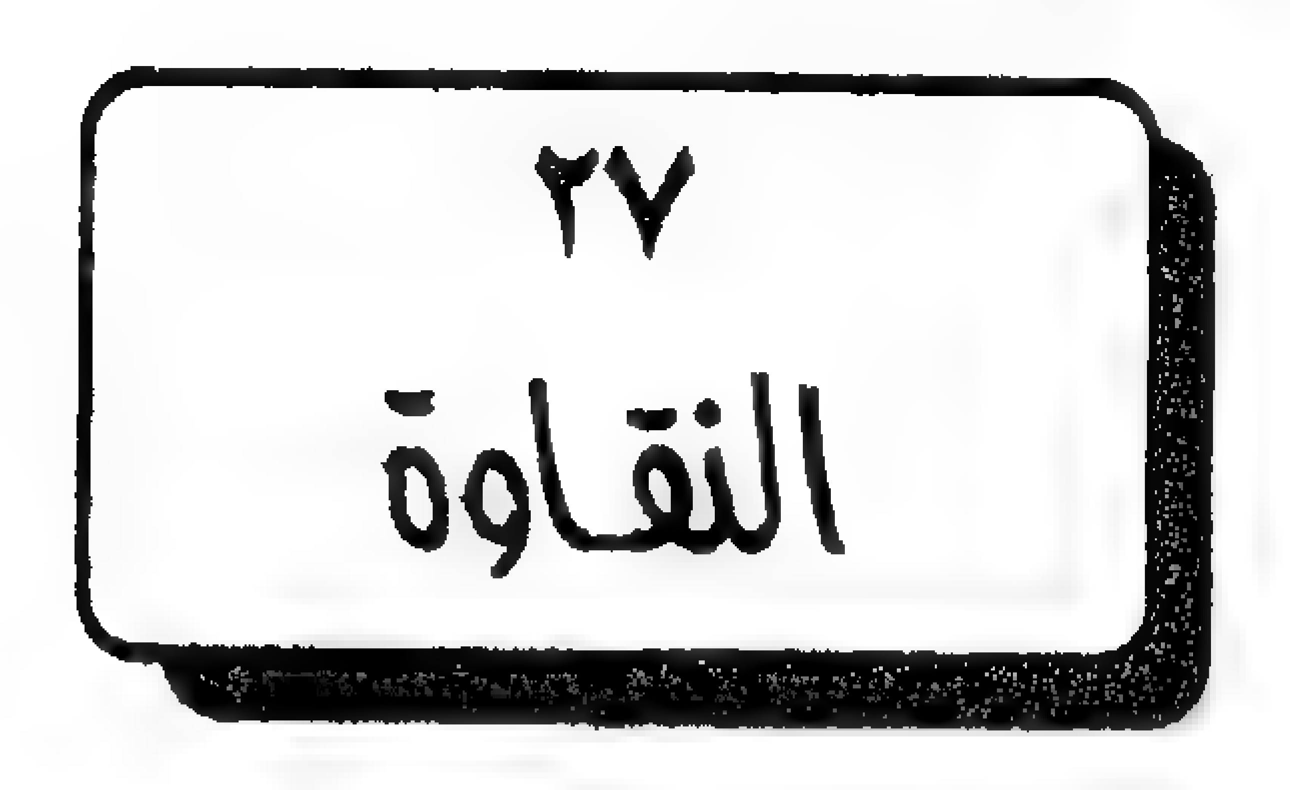
يا سيدى ... يا من دعوت تلاميذك « أولاداً صغاراً » ، أذكرك أننى لا أمتلك الكمال ولا قوة النضج كابن لله ، أعطنى أن أبقى – أو بالحرى أن أصير – طفلاً صغيراً بين يديك . أعطنى أن أنقاد إليك ، لأن خطية آدم الأول كانت رفضه أن يكون منقاداً للآب السماوى . أنا ضعفت كالطفل فأعطنى الوداعة والثقة الكاملة التى لطفل صغير .

إن من يتبع الحمل فى طريقه الصغير – طريق

---

(1) Little children (R. V.) .

الطفولة – الذى بدأه فى بيت لحم ، يرى كل الأمور الصغيرة أموراً عظيمة . الحمل رمز للبساطة والبراءة والنقاوة « إن لم أغسلك فليس لك معى نصيب » (يو ١٣ : ٨) ، هذا ما قاله يسوع لبطرس . أستطيع أن أنال نصيبى مع يسوع حينما أكون نقياً ، لكن يسوع وحده هو الذى يستطيع أن ينقينى .



٢٧
النقاوة

قال الرب لتلاميذه : « أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذى كلمتكم به » (يو ١٥ : ٣) أن كلمة المخلص ليست حافزاً للنقاوة وأداة لاعلانها فحسب ، بل هى تنقى النفس فعلاً وبطريقة جوهرية . وحين نتقبل هذه الكلمة ونفتح لها قلوبنا ونستسلم لعملها ، نتنقى حتى قبل أن نطلب الغفران ونمنحه رسمياً ، ذلك لأننا نتقبل الكلمة الذى صار جسداً . هذه النقاوة تستمر مادامت النفس متحدة بالكلمة .

طلب يسوع من الخدام – في عرس قانا الجليل – أن يملأوا الأجران ماء ، وتلك الأجران كانت تستعمل للتطهير في الاحتفالات الرسمية (يو ٢ : ٧) ثم حول هذا الماء خمراً . الماء ينقي والخمر تعطي النشوة ، لذلك فهذه الحادثة تعبر عن فرح المخلص بمن يستضيفونه . ولكن قبل أن يصير الماء خمراً يجب أن تملأ الأجران « إلى فوق » أي حتى حافتها .

لا وجود للمحبة – حسب المسيح – بدون النقاوة ، والنفس التي امتلأت بماء النقاوة حتى حافتها هي التي يتحول ماؤها إلى خمر المحبة .

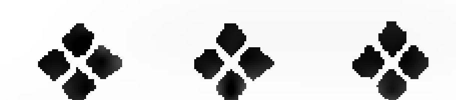
يا سيد ... كيف أفهم ذلك المثل الذي ذكرته عن وليمة العرس ؟ فلقد طرح الملك الرجل الذي ليست عليه ثياب العرس إلى الظلمة الخارجية (مت ٢٢ : ١٣) ، ولم يكن ذلك الرجل بين المدعوين مقدماً بل كان ممن أحضرهم الخدام من الشوارع ومفارق الطرق ، ولم يستطع لذلك أن يحضر معه ثياب العرس ؟

يا بني ... إن أحداً لا يملك ثياب العرس قبل وصوله إلى مكان الوليمة ، بل في المنزل توزع الثياب على

الحاضرين . سلنى فأعطيك ثوباً ، فأنا أعطى جميع من أدعوهم إلى العرس ، وأنت بدونى لن تمتلك شيئًا ، ولن تستطيع أن تفعل شيئًا ، يجب أن تحصل منى على كل شئ .

إن فكرة ثياب العرس والنقاوة توقظ فى وعيًا ضد الخطية ، لأن رؤية الحمل فيها رؤية لخطاياى أيضًا ... «هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم» (يو١ : ٢٩) ... لذلك فاكتشاف الحمل يعنى إدراكنا للخطية وخطورتها وثقلها الذى لا يحتمل . والعجيب أن الحمل لا يرفع عن أكتافنا ثقل خطايانا بعيداً عنا وحسب ، بل إنه يأخذها على كتفيه هو ، إنه يرفع خطايانا ليحملها هو .

إن «خطية العالم» ليست مجرد مجموع خطايا الناس ، ولكنها تعبير عن الفساد الأصلى الذى أصاب البشرية طراً ... وخطاياى الشخصية تظهر هذا الفساد ، محققة ومؤكدة تلك الخطية .



٢٨
يسوع يطلب إقرارًا بالخطية

« اذهبى وادعى زوجك » (يو ٤ : ١٦)

... قال يسوع هذا للسامرية بعد أن كاد يطلعها على سر الماء الحى ، ولكنه قطع حديثه فجأة ودعاها لأن تكتشف آثام حياتها . ولما أرادت السامرية أن تحد نفسها باعتراف منقوص ، أظهر لها يسوع كل شئ بوضوح . لقد وضع أصبعه على الجرح ليفتحه : خمسة أزواج بالتتابع ، والذى معها الآن ليس زوجها .

إذن ، فيسوع لا يدعنا نسترسل فى الحوار معه دون أن يواجهنا مع حقائق حياتنا المباشرة ، ويسألنا عن جراحاتنا الخفية . وحتى إن فضلنا أن نبقى على مستوى الأفكار ، وأصغينا إلى يسوع وهو يقدم تعليمًا أو رسالة عامة ، إلا أنه يقول : « **إذهبى وادعى زوجك** » .

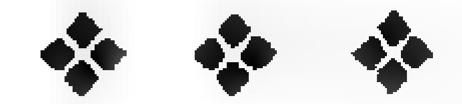
كذلك قال يسوع لمفلوج كفر ناحوم : « **يا بنى مغفورة لك خطاياك** » قبل أن يقول له : « أحمل سريرك

وامشِ » (مت ٩ : ٢) ذلك لأن يسوع يهتم بأن يخرج الخطية من مكمنها .

وكثيراً ما نتوقع من يسوع أن يتحدث عن الاصلاح الاجتماعى والنمو المادى ، ولكننا نراه يحدثنا عن الخطية والتوبة والغفران . حقًا ، إن الالتزام بالانجيل يستوجب بالضرورة إصلاحات خارجية ، ولكن سواء كانت المشكلة فى المرض أو العمل ، فى الظلم أو العدالة الاقتصادية ، **فالخطية هناك كائنة وراء أعماق هذا كله** . لذلك فالحرية الحقيقية ترتبط بالتغيير الروحى .

وكلما أنمو فى معرفة يسوع أجد أن كل ما يعترض طريقى من أحداث طارئة أو طبيعية يرتبط بالخطية : سواء الأصلية أو الشخصية . لذلك فسوف أقرأ سجل حياتى بطريقة مختلفة بقدر اقتناعى بحقيقة الخطية وشناعتها .

الا نرى أن سبب فشل بعض الحركات المسيحية حالياً نابع من انها تبتعد تماماً عن نكر الخطية أنها خطية ؟ ولكن يسوع لم يتكلم بهذه الطريقة .



٢٩
خيانتنا للمسيح

أعلن يسوع لتلاميذه أن واحداً منهم سيسلمه ، فلم يشكوا فى كلماته أو يصيحوا قائلين : « هذا مستحيل يارب » ، بل حزنوا وبدأوا يسألونه واحداً بعد الآخر : « هل أنا يا سيد » (مت ٢٦ : ٢٢) . إن خبرة سقطاتى تقودنى إلى الاتضاع الشديد ، فأنا لا أضمن عدم السقوط فيما بعد ، ويجب أن أسأل نفسي : « هل سأخونه ثانية ؟ هل سأكون أنا مسلمه الثانى ؟ » .

قال يهوذا لليهود : « ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم » (مت ٢٦ : ١٥) ... ألا ألقى أنا نفس هذا السؤال على الشيطان : « أية لذة ستعطينى ؟ ... إنا أعطيتنى هذا الأمر أو ذاك سأسلمه لك ... » وربما أقول هذا بعد أن أحوّل عينى أو أغسل يدى ... لكن بقرعات عنيفة فى الضمير ... وعلى كل الوجوه سأنتهى بأن أسلمه .

أيتـهـا النفس المسكينة أنت تريديننى ولكنك تـريدين خيانتى فى نـفس الوقت ... هـذا هو السبب فى أنك تطلبين أى شئ آخـر بدلاً منى ، ولـكنك لا تسـتطعين أن تـريديـنى حقًا ما لم تـريديننى وحدى .

نكر الأنجيل عن بيلاطس أنه « أسلم يسوع لإرادتهم » (لو ٢٣ : ٢٥) ، وهـذه الـعـبـارة تنطبق علىّ تمامًـا فى كل مـرة أتـعـاون شـخـصـيًّـا مع المجرب أو أشـتـرك فى خطايا الآخـرين . ولـقـد قـال الرب ليـهـوذا : « أبقـبلة تـسـلم ابن الإنسـان ؟ » (لـو ٢٢ : ٤٨) ، وقـبلة يهوذا هى كل صـلاة أحـاول تقديمها لله ، بيـنـما أنا مـتـمسك بـجـذور الشـر فى قلبى .

قـالت الجـارية عن بطرس : « هـذا كـان مـعـه » ثم قـال آخـر « أنت منهم » (لـو ٢٢ : ٥٦ ، ٥٨) ... وهـذا الـفـكـر يغمـرنى ويطغى علىّ كلما وجدت نفسـى - أثناء الخطية - عـاجـزاً عـن نسـيان الـلحظـة التـى اتبـعـت فـيـهـا يسـوع .

يا مخلص ... أنت تشق طريقك إلىّ خلال جـراحاتى

الخفية وخطاياى الكثيرة ... أنت حاضر أثناء خطيتى . وحين أخطئ تبقى أنت ساكناً فىّ بلا حراك ، ولكن حضورك ياربى يدين ما أعمل . كذلك أنت تفهم نفسى وتفهم خطيتى أعمق مما أفهمها أنا . فأنت أقرب إلىّ من نفسى . لذلك فأنت لا تقف أمامى كقاضٍ مجهول ، بل أراك تتحد مع الخاطئ الذى أمامك ، ورغم أنك على النقيض منه إلا أنك تعانقنى بحضورك الغامر وعطفك المتدفق .

إنى أشعر يا سيدى بحضورك وعطفك أثناء ممارسة الخطية التى أفتقر إلى الشجاعة اللازمة لإيقافها ، ولكن حضورك وعطفك يمكنانى من الاشمئزاز والألم والرعب ، فألتصق بك وباسمك : يسوع !

يا مخلصى ... إن حضورك معى أثناء الخطية نعمة عظمى ، فيدك تمتد لتنتشلنى من الهوة ، ولو أننى رفضت هذه النعمة وأصررت على ممارسة الاثم ترى ... ماذا سيكون من أمرى . إنك لا تصدر يا سيدى نطقاً بالحكم علىّ ، ولكن وجودك الشخصى يحكم علىّ تلقائيًا ، وإن كان يحمل مع الحكم بشارة وغفراناً . ولن أستمع إلى نطق الغفران قبل أن أستمع إلى نطق الإدانة .

ومهما كانت ذنوب الماضى والحاضر ردية إلا أنها ترتبط بتدبير النعمة ، تمامًا كما يرتبط مصير البشرية بخطة النعمة التى فى قصد اللّه . إن « نشازى » الشخصى مازال جزءاً من سيمفونية النعمة الشاملة ، ولكن هذا لا يبرر « نشازى » لأنه ضد النعمة - وهذا هو الموت ذاته . إن التضاد بين النعمة والخطية لازال يحمل امكانية دخول خطاياى ضمن تيار النعمة طالما أن حزنى وغفرانك يتداخلان ... **مبارك أنت يا مخلصى !**

وهناك فى المسيح رفض واختيار ، وحين أتحد به اصير مقبولاً من أجل المحبوب وفيه . أنا مرفوض كخاطئ فى يسوع لأن « الذى لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا » ، ولكن ثمة مبادلة عظيمة حدثت على الجلجثة بين الخاطئ والإله : **أنا أخطئ ويسوع يموت** . لقد احتوى قلب المسيح الخطية ، وصار الإلة المتأنس مرفوضًا ومحكوماً عليه .

لكن ... هناك أعماق كثيرة أمام المؤمن ليكتشفها فى هذا السر بقدر ما يمكن أن نكتشف أى سر إلهى . فياسيدى ... دعنى أحدثك عن هذا الأمر .



٣٠
سر الهالكين

ربى يسوع ... إن سر يهوذا يحزننى ، أو بالحرى – لأننى لا أعرف ماذا كانت مشاعره النهائية – يحزننى سر الخطاة الذين يموتون دون الرجوع إليك . إننى أعرف ما قلته عن فصل الخراف عن الجداء ، وعن النار التى لا تطفأ ... وهذا ثابت فى الكتاب . إننى أعرف أن نهاية البشر الذين يقولون لله : « لا » إلى الأبد .. نهاية مروعة ، ولكنها النتيجة الحتمية لحرية الارادة الموهوبة لنا . وأعرف أيضاً أننا لا نضمن أن انساناً ما مرفوض إلى النهاية . أعرف هذا كله ، ولكن ... لماذا خلق الآب هذا النوع من البشر الذى يعرف مقدماً أنه لن يلتصق بهم ؟ أضع أمامك يا معلمى هذا السؤال فى اتضاع وانقياد ... فعلمنى .

يا بنى ... أجيبك فى بساطة : هذا السؤال أكبر منك ،

فانتظر فى ثقة إلى اليوم الذى فيه سوف تعرف وترى أن الاستنارة الإلهية لم تعط لمن لا زالوا فى هذا العالم . كذلك - دعنى أضيف - لن أمنحك اعلاناً شخصيًا من جهة هذا الأمر ، ولكنى سأذكرك فقط بما عرفته سابقاً أو ما يجب أن تعرفه . لقد ساعدتك فى أن تؤمن وتفهم - بعض الشئ - كيف أن سر الاختيار يحدث فىّ ، لأن الذين يحبوننى يصيرون مقبولين فىّ . وما أريد أن أقنعك به الآن أن سر الرفض أيضاً سيجد حلاً ونوراً فىّ .

يحق لكل انسان أن يسمع منى هذا القول : «أنا برك» ، ويحق أيضًا لكل انسان أن يقول لى أنا البار : « أنا خطيتك » . فلقد سكبت برى للخطاة إن قبلوه ، ولقد حملت ثقل الرفض الناجم عن خطاياهم جميعاً . وكما أن هناك علاقة بين كل مختار وبين البر الذى حصلته له على الصليب ، كذلك هناك علاقة بين كل رافض للتوبة وبين نفسى بقدر ما أخذت مكانه على الصليب حاملاً خطيته ودينونته . وما دمت قد أخذت مكان الخاطئ ، فحتى ولو رفض مبادلتى ، فلقد تمت - بنوع ما - مبادلة بينى

وبينه ، وفى استمرار هذه المبادلة وفى قرعاتها تستطيع أن تتأمل سرّ الرفض .

أنصت لى جيداً يا بنى ... أنا لم أقل أننى خلصت - على الصليب - أولئك الذين لا يريدون التفاعل مع الخلاص الذى قدمته لهم طوال حياتهم ، ولكنى أقصد فقط حالياً : أن هناك صلة حقيقية بينى وبين غير التائبين تأسست على الصليب وهى باقية دائمًا . لقد جزت خبرة الدينونة برهبتها وكمالها ، وهكذا جرى فى أعماقى تلامس بين القداسة المطلقة وكل خطية ارتكبها كل خاطئ . كما تم فى أعماقى لقاء بين المجد المطلق والرفض المطلق ... رفض كل خاطئ .

وما هى نتائج هذا اللقاء سواء فى الماضى أو الحاضر ؟

يا بنى ... لن أذكر لك الآن شيئاً أكثر تحديداً ، فأنا أريد أن أجعلك ترى الأفق من بعيد دون أن أعطيك إمكانية قياسه . آمن - بكل قلبك - بكلمات إنجيلى بخصوص الخاطئ الذى لا يتوب ، ولا تغرق نفسك فى تخمينات ومناقشات عن عدد هؤلاء الخطاة ، وعن مدة

وطريقة رفضهم . أكد على ما أكده رسلى وكنيستي ولا تقل شيئًا أكثر من ذلك . ولكن أعلم جيداً - يا بني - أنك لم تدرك بعد أعماق قلبي ، ولسوف تدركها فيما بعد .

قف يا بني خائفًا من الرفض ، ولا تصدق الذين يعلقون أهمية ضئيلة على الانشغال بأمر خلاصهم الشخصي . انا لم أتكلم هكذا ، ولكن إياك أن تنسى أن الراعي الصالح يترك خرافه المؤمنة ليبحث عن الخروف المتمرد الضال ، وإذ يجده يحضره على منكبيه .

أمل أن تتأكد من حقيقة واحدة : أنا ، وأنا شخصيًا ، هو الاجابة عن اسئلتك القلقة بخصوص الخاطئ الذى لا يتوب . وإن كان شخصي هو الجواب ، تستطيع أن تلمس الاجابة ولو في غموض . لا تتعجل في أن تترجم الجواب في كلمات ... انظر وتأمل في صمت ... والجواب سيتوافق مع شخصي . تأمل في صورة المصلوب فهو الجواب على هذه المشكلة ، وكل مشكلة أخرى .

وحين أحل هذه المشكلة التي تسبب لك الألم ،

فلسوف ترى فى ذلك اليوم كيف تسطع قداستى وعدلى بوضوح دون أن تكون محبتى ورحمتى أقل اشراقًا . بل أن عدلى سيشرق خلال رحمتى ، وهذه تشرق خلال عدلى . وحينئذ سترى هذا السر مفرحًا ومجيداً فى آن واحد . لأن سر الخاطئ الذى يرفض التوبة سيكشف محبتى دون أن يجد الشر أى تساهل أو مساومة . ولقد أخبرك رسولى أننى سأصير حينئذ الكل فى الكل . ومع أننى لا أستطيع أن أخبرك الآن كيف سيكون هذا لأنه سر إلهى ، لكن آمن فقط وترجَّ .

يا سيدى ... أشكرك من أجل السلام الذى غمرتنى به كلماتك ، وأنا لا أريد أن أذهب ابعد مما أخبرتنى . ومع أننى – حتى الآن – لا أرى المنظر واضحًا ومحدداً ، لكننى أرى سابقًا النور الذى سيغمره . وهذا ما يحدث معى دومًا ، فبقدر ما أسلط نورك على خطية العالم بقدر ما أكتشف خطاياى وأتذكرها فأعوض بثقلها فى الحزن .

أنا أعتقد فى هبة الغفران لكل من يطلب ، وأعتقد أنك ستملأ هوة عدم استحقاق الخاطئ ، ولكن ... ماذا

عن أولئك الذين قاسوا بسببي ، والحقت بهم أضراراً ؟ .

٣١
صار خطية لأجلنا

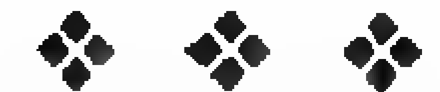
يا بني ... أنت لا تعرف إلى الآن معنى هذه العبارة : **إنني صرت خطية لأجلك** (٢ كو ٥ : ٢١) . أنت تفكر - في رعب - في الشر الذي ارتكبته حديثاً أو منذ زمن بعيد ، في هذا الإنسان أو ذاك . أنت تعرف أنهم قاسوا بسببك الكثير ، وأن اصلاح هذا الخطأ ليس الآن في مقدورك . **أنصت إليّ ... لقد أخذت أنا مكان هؤلاء ، ضحايا أنانيتك القاسية ، فلم تعد خطيتك موجهة ضدهم بل ضدي ، ولقد أخذت أنا مكانك - على الصليب - كمذنب خاطئ .** أنا « العقدة » التي تربط كل هذه العناصر معًا ، وأنا الذي أحلها ، لأنني على عاتقي التلف الذي حدث ، وسببه أيضاً . وسواء أكان الاصلاح ممكنًا أو متعذراً فأطرح خطيتك وحولها إليّ ، لأنه فيّ يكون التكفير والغفران .

أنـزع عن نفـسك كل فـرق التبرير الذاتى ، وتمسـك - بالإيمان - بالفـداء والخـلاص الذى قـدمـتـه لك . تعـال إلىّ عـاريًا تمامًـا ، وغـيـر منتظر أى شئ سـوى رحـمـتـى . لا تشـغـل بالك فـيـمـا بعـد « كـيف أصلـح مـا أفـسـدت ؟ » فـالاصـلاح آت كنتيـجـة طبيـعـيـة لالتـصـاقك واتحـادك بى ، ولسوف تبـرر بايمـانك الشـخصى لا باصـلاحاتك . ولكنك لا تسـتطيع أن تفـتـح قلبك للايمان الحىّ ، الايمـان المخلص ، ونعـمـتى وبرى ، إلى حين تصـمـم على تتـمـيم أعـمـالهـا وحـمل ثـمـارهـا . أنـا سـأصلـح كل شئ ، ولـكنك أيضًـا ستـصلـح خلالى ومعى وفى ، ولـكى تصلح ما فسد فابدأ بالقاء نفسك بين ذراعىّ .

يا مـخلصى ... أخبـرنى ثانية كيف سـتـأخـذ خطاياى على عاتقك ؟

يا بنى ... أنا أحب أن تكون أكثر إدراكاً لهذا السر ، سر المبـادلـة ، وأحب أن يدركـه الـكثـيـريـن أيضًـا . فكثـيـرون يشـعـرون بانكسـار شـديد وهم يطرحـون خطاياهم عند قـدمى ، ولكن كـثـيـرين أيضًـا يشـعـرون بوضـوح بسـلام

وسلطـان قـوى يصـاحب كلمـتى حين تعلنها الكنيسـة : « مغفورة لك خطاياك » (مت ٩ : ٢) . قليلون جداً ... هم الذين يعـرفـون كيف يتم ذلك العمل الذى بواسطته يأخذ حمل الله خطايانا على نفسـه . لقد عرفتك سـابقًا أننى أكـون حـاضـراً أثناء خطاياك ، وأن حـضـورى هـذا يكون ديانًا وشـفـوقًا معًا ، وحـينئـذ أنتظر نظرتك والتصـاقك بى ، فإذا أعطيتهما لى يتحول محور العمل . لا نعد الخطية فى الوسط فـيما بعد ، وكل قوى الشـر تندحر جانبًا فى هذه اللحظة ، وامسك أنا بمحـور الأمـر فتتـحـرر أنت . هنا يتـحقق مـا حـدث فى جثـسـيمـانى والجلجثة حين أخذت ضـعك وخطيتك ، فلا تقوم الأزمـة - فـيمـا بعـد - بينك وبين الخطـيـة بل بينى وبينك أنت ، إذ ينـزل شـعـاع على نفـسـك مـن قلبى فـيـجذبك ويتـمكن منك ، وهـكـذا ترتفـع نظرتك إلـىّ لأنك تسلـم نـفـسـك لقـيـادة هـذا الشعاع .



٣٢
مع يسوع ... إلى أورشليم

أخذ يسوع الأثنى عشر إليه ، وقال لهم : « ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الانسان يسلم » (مت ٢٠ : ١٨) . ولقد أوضح الانجيل أن هذا جرى فى محادثة خاصة ، فلقد خص يسوع رسله - وليس كل تابعيه - بسر هذه الرحلة بينما كان صاعداً إلى أورشليم . وهو يريد الآن - بالتأكيد - من كل مسيحى أن يشترك فى الحدث الحاسم الذى جرى فى أورشليم . ويسوع يختار الوقت المناسب كى يدعو تلميذه ليشترك فى امتيازات الرسل ، ويصحبه صاعداً إلى أورشليم ، واضعاً أمام ذهنه النهاية الحزينة . وبهذا يبقى يسوع سيداً للزمن وللدعوات الفردية .

كم من المسيحيين قد لمحوا هذه الدعوة ؟ وكم منهم أدركوا أن ما حدث فى أورشليم ، ومازال يحدث فى أورشليم الأبدية الخفية ، هو أهم ما فى العالم ؟

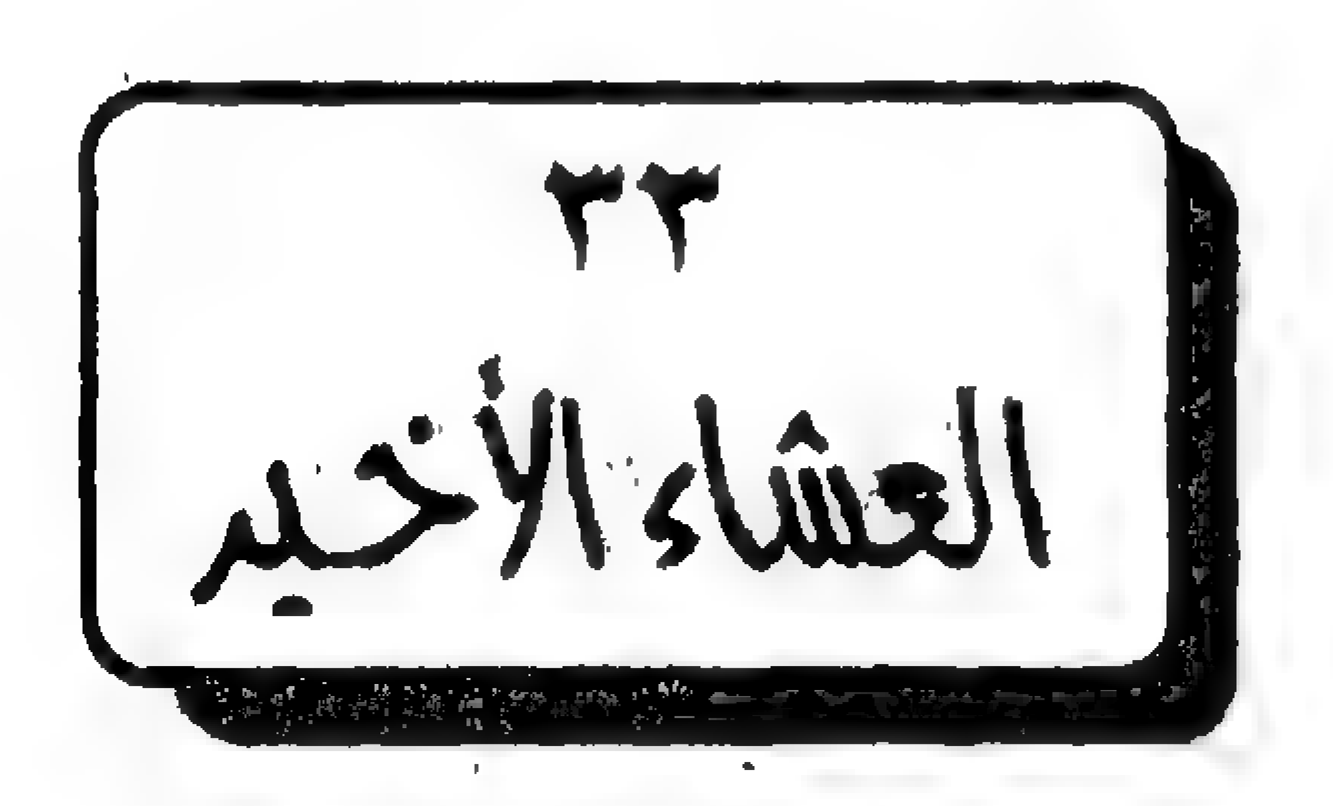
يا سيد ... لقد أخذتني جانبًا في الطريق وأسمعتني الدعوة وأردت أن أفصل نفسي عن الناس لأتحد بهم بطريقة أفضل ، وأن أصحبك – حتى النهاية – في رحلتك . أنت تكشف لي معنى هذه الرحلة ووجهها ، وسوف تستمر كاشفاً لي إياه دائماً .

يا سيد ... سأحب الصعود إلى أورشليم ، منذ اليوم ، بمعونة نعمتك . ولسوف يصير كل ما أراه وأسمعه عنك خلال ذلك الأسبوع الأخير العظيم موضوع اهتمامي الكامل طوال حياتي . فهذا الأسبوع يجب أن يصير أنموذجًا لكل الأسابيع الأخرى ، فتشمل أنت كل شئ كمركز للدائرة الكبيرة والصغيرة على حد سواء .

سأدير ظهري لكل ما كنت أبحث عنه وأتبعه ، متأسفاً عما كان في حياتي الماضية من أمور لا أستطيع أن أجعلها جزءاً من سر فصحك العظيم الذي تحب أن أحيا فيه دائماً . سأصعد معك إلى أورشليم ... إذن ، فليصمت الآن كل جسد .

ويفتتح الانجيل الرابع حديثه عن الفصح الأخير والآلام المقدسة بهذه الكلمات : « يسوع ... إذا كان قد أحب

خاصته الذين في العالم ، أحبهم إلى المنتهى » (يو ١٣ : ١) ... إلى المنتهى » ... هذا واضح ليس لأن يسوع أحب البشرية حتى آخر لحظة من حياته على الأرض وحسب ، بل لأنه أحبهم حبًا كاملاً ، شاملاً ، أكيداً ومحدداً . لقد أحبهم إلى أقصى درجة ممكنة ، أما آلامه فقد أضافت اللمسة الأخيرة إلى حبه . هناك يتعرف التلميذ على يسوع من عمق حصيب ، وهناك أكتشف كم أنا محبوب ، وبأي ثمن . لقد أظهر الرب نفسه « كحمل » إلى أقصى درجة أثناء تضحيته ... فيا سيدي ... اكشف لي سر الحمل .



قال الرب لتلاميذه : « شهوة اشتهيت أن آكل معكم الفصح » (لو ٢٢ : ١٥) . وليس الأمر قاصراً على الفصح الذي سبق يوم الجلجثة ، ولا البصخة التي نحييها كل عام ، فكل لحظة يمكن أن تصير فصحاً ، وكل فصح هو

عشـاء ودود مع المسيح فـيه نتـحد بالـحياة الإلهيـة المعطاة لنا من أجل خـلاص العـالـم ، وهـو اتحـاد مع الجـسـد المكـسـور والدم المسـفوك . وهذا الاتحاد الخـصـوصي يميز الفـصح عن الاتحاد بالمسيح بالمعنى العام ، فكل سر البصـخة من صلب وقـيـامـة كـامن فى الـعـشـاء الرباني . وليس سـر العـشـاء الأخـيـر مقـصـور على المشـاركة المنظورة فى الأفـخـارسـتـيا أثناء اجتمـاع المؤمنين ، ولكن هناك عـشـاء آخر غير منظور وباطنى يمكن أن يحدث فى نفسى كل لحظة وفى كل مكان بطريقة روحـية محـضـة ... « إن فتح أحـد الباب أدخل إلـيه وأتعشى معه ... » (رؤ٣ : ٢٠) . وحقيقة هذا الـعشاء الغير المنظور لا تقـل عـن حـقـيـقـة العشـاء المنظور وإن كـان من نوع آخـر ، ولكـى نميـز بين الـعـشـاءين نحـتـاج إلـى نظرة عميقة .

« شهوة اشتهيت أن آكل معكم الفصح » (لـو ٢٢ : ١٥)
ترى ... أى فـصح يقـصـد ؟ لابد أنه الـفـصح الأخـيـر الذى أحياه المسـيح قـبيل مـوته ، والذى فـيه سيكشـف لتـلاميـذه سـر خـروف الفـصح الـحـقـيـقى . إن أكـلات الـفـصـح التى يشـتهى أن يأكلهـا معى هى الـتى سـتـمكننى من أن أكتشـف الحمل .

أرسل يسوع هذا السؤال لصاحب المنزل « **أين المنزل** [1] **حيث آكل الفصح مع تلاميذى ؟** » (مر ١٤ : ١٤) . وهذا السؤال يسطع بمعان غنية لو أننا التفتنا للأصل اليونانى لكلمات القديس مرقس : « **أين منزلى ، أين حجرة استقبالى ؟** » هنا نكتشف مزيجًا من الاتضاع والأمر ، فيسوع يسأل عن **مكان حجرته** ، وهو يطلبها فى ثقة أنه صاحبها ومالكها ، فلقد شغل هذه الحجرة فعلاً وهى لذلك تخصه ... لكنه اضطر لأن يستعيرها من إنسان . إنه يرجو نفسى أن تصير مكاناً يصنع فيه فصحه لأن نفسى تخصه ، ولكنه يريد أن يأتى إليها كضيف ويطلب منى حسن ضيافته .

« المعلم يقول إن وقتى قريب ، عندك أصنع الفصح مع تلاميذى » (مت ٢٦ : ١٨) . « مع تلاميذى » ... لأن فصح الرب جماعى دائماً ويستحيل أن يكون فردياً . وحتى لو أجرى الرب فصحه غير المنظور فى علية نفسى ، لابد أن يبقى بابها مفتوحاً لدخول كل تلاميذ المسيح . **فما دمت مع**

---

(1) My guest - chamber (RV) My room (W) My dwelling .

يسوع فأنا مع بطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا وبولس وسائر الرسل وكل تلاميذ المخلص سواء في القرون السابقة أو حالياً إن يسوع يدعو تلاميذه أخوة : «اذهبي وأعلمي أخوتي» (مت ٢٨ : ١٠) لذلك فأنا لا أستطيع أن أفصل نفسي عن اخوة المخلص دون أن انفصل عنه . وعليّ أن أشاركهم في الايمان الواحد بنفس المحبة الواحدة .

بدأ الانجيل حادثة غسل السيد لأرجل تلاميذه هكذا : « يسوع وهو عالم أن الأب قد دفع كل شئ إلى يديه ... » (يو ١٣ : ٣) لأن ادراك المسيح الكامل لسلطانه الإلهي هو الأساس في أن يمارس عمل الاتضاع هذا .

ويوضح موقف سمعان بطرس أثناء غسل الأرجل كيف يمكن أن تهجم التجارب على التلميذ المخلص - فنحن نرى بطرس مندفعًا يبالغ في اتجاهين متضادين . فهو أولاً يمتنع عن أن يغسل يسوع قدميه ، ولكنه يعود ويطلب أن يغسل - لا قدميه فحسب - بل أيضًا يديه ورأسه . وكثيراً ما نحب أن نحدد للسيد ما يجب أن يعمله معنا ، وكيف ينفذ هذا فعلاً لكن يسوع يرغب في

أن نسلم أنفسنا لتوجيهه ، وهذا هو الخضوع الودى لمقاصده حتى وإن كنا لا نفهمها .

وإن كنت تتمثل بيسوع وتتمنى أن تغسل أرجل انسان ما ، ففى هذه اللحظة ستجد أن المنشفة التى استخدمتها لتجفيف قدميه تصير بالنسبة إليك « منديل فيرونيكا (١) » إذ ينطبع وجه المخلص عليها .

ومع أن يسوع يعرف أن يهوذا سوف يسلمه ، إلا أنه يغمس اللقمة فى الصفحة ويعطيها له قبل الآخرين أثناء العشاء الأخير (يو ١٣ : ٢٦) . وهذا أمر مريك ... هل هذه علامة إدانة أم هى آخر نداءات النعمة ؟ « وبعد اللقمة دخله الشيطان » (يو ١٣ : ٢٧) . وربما يجوز لنا أن نرى فى قبلة الخيانة الأخيرة علامة رحمة من جانب المخلص فلقد قدم ليهوذا فرصة نهائية .

ولو أننا تفحصنا الظروف التى فيها نسقط فى الخطية ، وبالأخص العوامل التى تسبق السقوط

---

(١) فى التقليد أن فيرونيكا حين جففت وجه المسيح من العرق أثناء حمله الصليب انطبعت صورته فيه .

مباشرة ، لوجدنا أن السيد يكثر من تدخلاته الخفية حتى اللحظة الأخيرة ، ويزيد من نداءاته الهادئة وحركات النعمة الهابطة علينا ، ولمسات الحب السرىّ ليدعم ارادتنا الخائرة . لذلك فتاريخ كل خطية من خطايانا هو بالضرورة تاريخ ظهور تام للرحمة الالهية . لو علمنا ذلك فلسوف نجد الأدلة واضحة .



٣٤
يسوع يعطى نفسه

كسر الخبز هو محور المسيحية . وقد كسر الرب خبزاً فى العشاء الأخير وقسمه (مت ٢٦ : ٢٦) ثم صب خمراً ووزعه ، ولا يكفى أن نقول أن يسوع أعطانا نفسه بل يجب أن نحدد أنه أعطى نفسه كخبز مكسور وخمر مسكوب ، أعطى جسده المكسور ودمه المسفوك ، فحمل الله يذبح من أجل خلاص العالم وحياته .

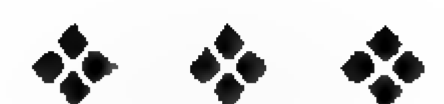
أعطنى يا يسوع أن أتحد معك فى ذبيحتك ، وفى يديك

أجعل من حياتى تقدمة تسكب لله والناس . **أسكبنى فى كأس كما يسكب الخمر ، وأجعلنى كسرة خبز مقسومة بيديك الخصوصيتين ، تمسكها بهما ، وتوزعها بهما أيضًا** . أنا أرغب فى أن تكسرنى أنت يارب ، وفى أن تغرق خطاياى وشخصى فى دمك كيما أموت عن نفسى لأولد لك ولأخوتك من جديد . فما دمت عضواً فى جسدك قدمنى إلى الله وهبنى للناس مع جسدك ودمك .

لم تنفتح أعين تلميذاى عمواس إلا عند كسر الخبز فعرفا الرب (لو ٢٤ : ٣٠) . إذن فحضور المسيح وكسر الخبز لا ينفصلان ، وكلما حدث كسر للخبز نجد يسوع هناك . ومع أن الانجيل لم يوضح نوع كسر الخبز مع تلميذى عمواس ، هل كان تجديداً لسر العشاء الأخير أم كان مجرد عمل محبة ، لكن – على أية حال – **فمهما كان نوع كسر الخبز هنا : سواء كان سر الجسد والدم المقدمين للناس ، أو الشفقة المقدمة للجائعين ، أو مشاركة الحياة بالمحبة (التى ترمز إليها الوليمة) ، فهذا الخبز المكسور هو العلامة التى بها يعرف تلاميذ**

المسيح . إنها علامة عميقة ومركبة وغير محددة المعالم ، ولكن كسر الخبز بروح المخلص يجعل حضوره معروفاً .

يسوع هو « **الخبز النازل من السماء** » (يو ٦ : ٣٣) ، ولقد دعاه الأنجيل أيضًا « **خبز الحياة** » (يو ٦ : ٣٥) ، ولكن هناك معنى أعمق لكلمة « **خبز الحياة** » عن كلمة « **الخبز الحى** » ... فالثانية تعنى أن الحياة صفة من صفات هذا الخبز ، ولكن قولنا « خبز الحياة » يعنى أنه ينقل إلينا هذه الصفة . **خبز الحياة هو خبز يعطى الحياة ويولدها** .



٣٥

يسوع والآب

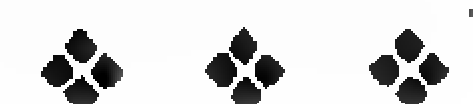
يضع الانجيل الرابع الحديث الذى يحوى أعمق وأخص تعاليم يسوع بعد العشاء الأخير (يو ١٣ : ٣٣ ... الخ) . **وحين أجلس مع يسوع فى عشائه الأخير وأتحد بالحياة المعطاة للناس ، تكون قد أتت اللحظة التى فيها أصغى إلى كلمات خاصة - كانت مخبوءة حتى ذلك الوقت - وأتقبل ثقة الصديق العظمى ، حينئذ سيكلمنى عن نفسه .**

ولكنه لا يستطيع أن يتكلم عن نفسه دون أن يتكلم عن أبيه ، فسر يسوع مرتبط بهذه العلاقة البنوية ، وحين لا نرى هذا فنحن نقرأ الانجيل ناقصًا ونتجاهل أساسه ومحوره ، ولا نستطيع حتى أن ندرك علاقة المخلص بالناس . لذلك فأولا تأتى علاقة الآب بابنه الوحيد . **وفى هذا يقول الانجيل الرابع فى افتتاحيته أن الكلمة كان منذ الأزل « عند الآب »** (يو ١ : ١) ، **وإذا أردنا أن نترجم النص**

اليونانى بطريقة أدق فلنقل أن الكلمة كان « نحو الآب » . يسوع موجه نفسه نحو الآب ، وهو مشدود إليه ، وحياته الباطنية هى حركة محبة نحو الآب ، وهذا التحرك الحى يستوعب ويشرح كل وجود المخلص وسره . « أنا حى بالآب »... هل هذا يهمنا فى شئ ؟ فلنكمل الآية لنعرف... أنا حى بالآب ، فمن يأكلنى يحيا بى » (يو ٦ : ٥٨) . هل استطعنا أن نعرف أن كل ما هنالك هو فى حرف الفاء « فمن » ؟ فاتحادنا بالمخلص يعتمد على اتحاده بأبيه ، وعلى مستوى آخر هو نتيجة هذا الاتحاد وانعكاسه .

ولقد أجمل يسوع هذا المعنى ، وإن كان بطريقة غامضة ، خلال حديثه مع السامرية حين قال : « لو كنت تعلمين عطية الله ... » (يو ٤ : ١٠) . يسوع لا يتكلم هنا عن أية عطية خاصة لأن عطية الله هى مجموع البركات والنعم التى يحضرها لنا الابن المرسل من قبل الآب ، ويعطينا إياها فى سخاء عظيم . إذن ، هى فى المقام الأول كل ما يقدمه لنا الآب فى شخص ابنه . وعطية الله هى العطية التى يقدمها الآب – فى ابنه – للانسان .

إن الماء الذى تحدث عنه يسوع مع السامرية ، ذلك الذى يعطيه يسوع فيعيد فى المؤمن « ينبوعًا ينبع إلى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٤) ، ليس شيئًا من حياة المخلص التى تضيع فى الانسان ، إذ أنها حين تعطى للانسان تتخطى حدوده ... بل هو حياة يسوع نفسها ... كل حياته الموجهة نحو الآب والمتجهة نحو الحياة الأبدية التى عنده كنهر يندفع نحو المحيط إن تحرك يسوع نحو أبيه يحمل الانسان معه ، والعدد الذى لا يحصى من قطرات هذا الينبوع تتتابع واحدة تلو الأخرى وهكذا تأتى البركات تباعاً إلى النفس المؤمنة ، « ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا ، ونعمة فوق نعمة » (يو ١ : ١٦) وبنفس المؤثر تتجمع النعم نحو بؤرة واحدة هى موضوع وجود المخلص : أى نحو الآب .



٣٦
مجد الآب فى آلام يسوع

من طبيعة الآب أنه يجتذب الكل نحوه . ولأن الابن فى الآب لذلك فحين ننجذب نحوه يتم ذلك خلال يسوع وفيه . « **لا يقدر أحد أن يأتى إليّ ما لم يجتذبه الآب** » (يو ٦ : ٤٤) هذا ما قاله المخلص . ويقرن القديس أغسطينوس - فى جرأة - هذه الكلمات مع حكمة لاتينية : إن بهجته الخاصة هى التى تجذب كل واحد منا ، والجذب نحو يسوع هو الفرح الخاص بالنفوس المختارة ، وهكذا ندخل فى شركة الآب والابن .

قال يسوع : « **طعامى أن أصنع مشيئة الذى أرسلنى** » (يو ٤ : ٣٤) ، لذلك **فتتميم مشيئة الآب هو طعام المخلص ، وإن لم يكن الأمر كذلك فلمن يكون للمخلص صورة وكلمة ؟** إن اتمام مشيئة الآب خلال ارادة المخلص هو طعامنا نحن ، لأننا نجدد قوانا كل يوم بهذا الاهتمام الذى يشكل شخصيتنا الروحية وينميها .. تلك التى

قسمها اللّه لكل واحد منا لأن هذه المشيئة تقودنا إلى النضج الكامل .

لقد كان يسوع يطلب « مجد الآب » في كل شئ ، أي أنه كان يسعى ليعلن الآب . وحتى في مرض لعازر علمنا المخلص أنه لأجل « مجد اللّه » (يو ١١ : ٤) . **ولهذا ففكرة « مجد اللّه » كدافع رئيسى لكل عمل كانت عزيزة جداً عند القديسين ، بينما تبدو غير مألوفة لدى مسيحيى اليوم .** ألا يكون اندماج هذا المبدأ مع فكرنا الحاضر سبب مجد وانتعاش ؟

وعلينا أن نبحث عن فهمنا لمجد اللّه في أمور تعتبر ضد غرائزنا الطبيعية وعادتنا النفسية إن أردنا أن يكون هذا الفهم مشابهًا لما كان عند يسوع ، بل يلزمنا أن نقلب بعض قيمنا رأساً على عقب .

لقد ترك يهوذا عليه العشاء الربانى ليسلم سيده وأصبحت آلام المخلص وشيكة الوقوع ... ولكن يسوع يعلن في هذه اللحظة : « **الآن يتمجد ابن الانسان** » (يو ١٣ : ١٣) لأن الآلام ستتقدم له الآن ليتممها . ذلك الموقف الحاسم الذى عانق به المخلص آلامه يعلن مجد اللّه ،

والقيامة المنتصرة متضمنة فى هذا العمل . إلا أن تمجيد المخلص والآب معاً ظهر أولاً – وقبل كل شئ – فى قبول آلام الفداء .

٣٧
علاقة الآب بآلام المسيح

قال يسوع : « الآب يحبنى لأنى أضع نفسى » (يو ١٠ : ١٧) ، إذن فالآب موجود بعمق فى قرار الفداء المجيد . ولا يشرح المخلص سبب هذا الحب بأن الآب قد ولد الابن ، بل يعرفنا أن السبب هو سخاء الابن ورغبته فى أن يكون ذبيحة فدائية . لذلك فنحن نتكشف فى هذه الآية اعلان كيان الآب الذى يبهر ويثير .

وحين قال يسوع : « كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب ، وأنا أضع نفسى عن خرافى » (يو ١٠ : ١٥) ، كان يكشف لنا عن علاقة تكمن بين ارادته للبذل ومعرفته للآب . فمعرفة الآب تكمل فى نية التضحية بالنفس لأن

إلهنا محبة وعطاء معًا لذلك فالشهيد يعرف الله معرفة حية ، وهو اللاهوتي الكامل بالمعنى الحقيقى للكلمة .

فلنتأمل الآن فى السجود للآب ... ألا نجد تناقضاً فى الكلمات التى قالها يسوع للسامرية : « تأتى ساعة فيها تسجدون للآب ، لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم ، تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق » (يو ٤ : ٢١) ؟ لأنه إذا كانت الساعة سوف تأتى فكيف تكون قد أتت ؟ وإذا كانت قد أتت سابقًا فكيف ننتظرها مستقبلاً ؟ ولكن كلا الأمرين صواب ...

إن ساعة السجود بالروح والحق لم تأتِ بعد ، لأن الانقسام مازال موجوداً بين من يؤمنون بنفس الآب ، وحتى بين من يؤمنون بالإبن . ويسوع لا يعامل هذه الانقسامات بتهاون ، ولا يضع السامريين واليهود فى مستوى واحد ، فلقد ذكر أن السامريين يسجدون لما لا يعلمون بينما يسجد اليهود لما يعلمون ، وأن « الخلاص هو من اليهود » (يو ٤ : ٢٢) . وهكذا نجد أن نور المسيح ليس محفوظًا بنفس النقاوة بين كل الجماعات

التى تعلن ارتباطها به . أن أورشليم وجرزيم لازالتا موجودتين .

ولكن الساعة قد أتت ، الساعة التى فيها طغى سجود الروح والحق على كيان هذه المعابد . فبالنسبة للسامرية أتت الساعة فعلاً ، وهى قائمة لأنها فى هذه اللحظة فتحت قلبها ليسوع وهى واقفة أمامه . إن ساعة السجود النقى قد أتت بقدر ما يتكلم يسوع نفسه إلينا ، وبقدر ما نستمع نحن إليه ، لأن يسوع يحوى كل الحق . وكل من يستمع إلى يسوع ويقبله يلتصق ضمناً بهذا الحق كله .

يسوع هو صورة الآب الكاملة ، وهو صداه ، وما يعلنه لنا يسوع هو الآب . ولقد بدا يسوع « وديعًا ومتواضع القلب » (مت ١١ : ٢٩) ، ومع أننا تعودنا التفكير فى الآب مستخدمين عبارات القوة - وهذا حق لأن الآب كلى القدرة ولكن قلبه وديع ومتواضع كقلب المخلص . إنه وديع لأنه خال من المفاجأة والعنف والغضب ، وملئ بالشفقة والصلاح والمحبة . كما أنه متواضع القلب ليس بمعنى أن ينحنى لشخص أعظم - كما ينحنى الابن

المتجسد أمام أبيه أثناء تجسده – ولكن بمعنى أنه لا يعلق أهمية على المظاهر والاستعراضات فهو يفضل الوسائل المتواضعة ، ويتحد بالنزول الإرادى الذى لإبنه ، ذلك الذى أخذ طبيعتنا وآلامنا . لذلك فعلينا أن نتعلم أن نرى الآب فى هذا النور .

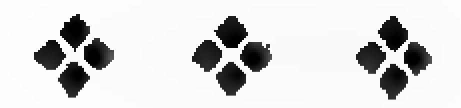
وينطبق كل ما يخبرنا به يسوع عن قلبه الخاص على قلب الآب ، لأن قلب الآب أنموذج يعلنه قلب يسوع . ولعل أكثر الصور التى نكونها للآب اشباعًا هى صورة القلب والعاطفة . فهو أول عاطفة انتشرت هنا وهناك ، وأول حب يحرك كل شئ : الكواكب والنفوس . وكل نبضة من نبضات هذا القلب تعلن عن حركة بها يعطى الآب نفسه لنا وهذه النبضات تدفع فينا دم الابن وحيوية نسمات الروح القدس .

الآب قلب ... وأن نحيا حسب مشيئة الآب معناه أن نحيا خاضعين لهذا القلب ... وأن تتحد نبضات قلبنا بتلك التى للقلب الإلهى .

الكلمة صار جسدًا ، ولهذا فللمرة الأولى ينبض قلب إنسان فى توافق كامل مع قلب الله ... وللمرة الأولى

يصنع الحب الكامل للآب نبضة قلب بشرية . وفى يسوع المسيح يوجد التحقيق الكامل لمصير الانسان وغايته ، فللمرة الأولى ينبض قلب انسان بالحب الكامل للبشر . هذه قمة غاية الانسان ومصيره ، تلك التى تدوم فى المسيح يسوع دوام الإله المتأنس ذاته . ففى يسوع - الإله الحق والانسان الحق - نجد الرسالة الانسانية ثابتة ، فقبل التجسد كان الابن يحب البشرية حباً كاملاً ، ولكن قلب اللّه لم يكن قد اتحد بعد بقلب بشرى .

يبقى أن يسوع قد تكلم فى أحاديث العشاء الأخير عن الروح القدس بعد أن أنهى حديثه عن الآب ، فكلا الأقنومين له مكانة فى الدفقات الأخيرة من المحبة والنور . ونحن لا نستطيع أن نلتصق بالابن دون أن نجد الآب والروح أيضاً . ولقد رأى يوحنا الحمامة نازلة ومستقرة على يسوع حين أعلن أنه « حمل اللّه » (يو ١ : ٣٢ ، ٣٩) ، إذن فالحمل والحمامة متميزان ولكنهما غير منفصلين .



٣٨
المسيح والروح فى حياتنا

نزل الروح القدس على يسوع فى شكل حمامة (مت ٣ : ١٦) ، وهكذا انكشف لنا وجهان للعلاقة التى بين الروح والمسيح : فمن ناحية ينزل الروح عليه كعطية مقدمة من الآب إليه ، ومن ناحية أخرى يشير الروح إلى يسوع ليعرفه للبشر ويقدمه إليهم . الروح نازل وهابط كعطية وكاعلان للابن الحبيب .

ولقد وصف يسوع رسالة الروح القدس قائلاً : « إنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ... يأخذ مما لى ويخبركم » (يو ١٦ : ١٣ ، ١٤) .

ويسوع هو الكلمة ، وكل كلمة إلهية نسمعها قادمة من عند الكلمة فإن لدى الآب فكراً ، وهذا الفكر تعبر عنه الكلمة ولكن من هو الروح ؟ إنه النسمة التى تحمل الكلمات ... والصوت الذى ينقل الكلمة ... إنه لسان النار .

وهذا الصوت له تموجات مختلفة فالروح القدس يكيف كلمة الله مبرزاً إياها ومعطياً لها ظلالاً حسب احتياجات السامعين ، وبذلك يخلق من النص الواحد معانٍ عديدة مناسبة . وهو يفسر الكلمة بأن يعطيها هذه النغمة أو تلك ، ويحيطها بهذا الجو أو ذاك ... وبذلك يجعلها خاصة بنا شخصيًا ويكسبها صفة فردية . الروح هو الفنان الأعظم الذى يعرف كيف يصحب العبارة الواحدة بتجانس يتنوع بغير حدود . فمثلاً نجد أن الموسيقيين المختلفين يعزفون المقطوعة الواحدة بدرجات مختلفة من علو الصوت أو رقته دون تغير فى النغمات ، وكذلك نرى أيضاً فى اللغات السامية تغييراً كبيراً فى نطق الأحرف الساكنة بسبب العلامات المتحركة .

إذن ، ففى كل حالة يأخذ الروح مما ليسوع ويعلنه لنا ، فهو لا يقول شيئًا من نفسه . ولكن - رغم هذا - الا ينسب الكتاب أقوالاً معينة للروح ؟ نعم ، لأن كل أمر يعتمد على الإرادة والعمل ينسب إليه ويعتبر ملكًا له . فنحن نرى فى سفر أعمال الرسل كيف يتحدث الروح ويصدر أمراً محدداً لنبى أو رسول ، ودائماً تكون الأوامر بصيغة مختصرة . إن ما يقوله الكلمة للعقل تحوله أوامر

الروح هذه إلى حركة للارادة . والروح لا يسترسل ويشرح ، بل يركز ويكرر ما يسمعه من الابن ، وغالبًا ما يؤكده دون كلمات . إن لغة الروح هى الحرارة والحيوية التى يخلقها فى النفس .

« إن لى أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، ولكن متى جاء ذاك روح الحق » ... (يو ١٦ : ١٢ ، ١٣) . يسوع – اليوم – يعيد على أسماعنا ما قاله لتلاميذه . لم تكن لهم القدرة أن يدركوا كل كلمات المسيح لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى لهم بعد ، ولكن الآن – بعد حلول الروح القدس – هناك صعوبات أخرى يمكن أن تمنعنا من فهم كلمة المخلص : عدم مبالاتنا ، وعدم انتباهنا وفتورنا . ولكن المتكلم ومفسره العجيب لا زالا فى متناول أيدينا ، وعلى استعداد أن يسمعانا إياها . لذلك فمع أن الروح يتحدث إلينا بكلمات يسوع ، مرة بقوة الرعد وتارة بلطف النسيم أو الطفل الصغير ، إلا أننا « نحزن روح الله » (أف ٤ : ٣٠) بعدم الإصغاء إليه ، وباغراق صوته وطرده إلى الوراء . وهكذا تصير خشونتنا حائلاً فى طريق اشفاقه اللطيف واصراره الرقيق . إن قساوتنا لا تحس حفيف أجنحة

الحمامة . وهذا ألم الروح الأبدى ، فهو الحمامة الجريحة دائماً .

الروح يختفى فى حضور الكلمة ، فكل ما يرجوه هو أن يوصل الكلمة إلينا . ولسوف يختفى الروح – بطريقة ما – لو أننا حاولنا أن نحصل عليه مستقبلاً عن الكلمة : الروح بدون يسوع والحمامة بدون الحمل ذلك لأنه يسمح بأن يحس ويمسك بشرط أن يكون مرتبطاً بيسوع .

والروح – إلى حد كبير – جزء من حياتنا الداخلية ، بحيث يصير فينا كما لو كان « أنا » حياتنا الروحية . فهو يتكلم باسمنا ويصرخ فينا : « **يا أبانا الآب** » (رو ٨ : ١٥) إنه يضع يسوع أمامنا ويوحدنا به . وهكذا يبدو – مع كل التحفظات والملاحظات التفصيلية الواجبة – أن الابن الذى يصيرنا فيه أولاداً للآب بالتبنى هو موضوع حياة نفوسنا ، وأن الروح القدس هو « أنا » هذه الحياة لأنه يتحد بأعماقنا لنستطيع أن نصل إلى يسوع .

إذن ينبغى أن نتحد مع نزول الحمامة التى أرسلها الآب

لابنه الوحيد ، إذا يجب أن نستريح مع الابن الحبيب ونحيط أنفسنا به . وفى الابن - بالروح يجب أن نجد الآب بأن نوحد نفوسنا مع اتجاه المخلص نحو الآب على قدر الإمكان :

٣٩
الالتصاق بالمسيح

لازال المسيح يتحدث - أثناء العشاء الأخير - عن حياته مع تلاميذه ، بعد أن تحدث عن حياته مع الآب والروح . فاحدى العلاقتين تعتمد على الأخرى ، وهناك أوجه للشبه العميق بين هاتين العلاقتين المتداخلتين : حياة الآب والابن ، وحياة يسوع وتلاميذه .

« أنا فى الآب والآب فىَّ » (يو ١٤ : ١٠) ، فإذا ما اعتبرنا اتحاد الآب والابن وضع فى اللاهوت السرمدى ، فإن ما يواجهنا بشدة هو وجود يسوع « فى الآب » . وإذا ما أمعنا النظر فى اتحادهما فى العمل الإلهى وفى نظام المخلوقات

فلسوف ننتبه بالأخص إلى هذه الحقيقة : **إن الآب حاضر وعامل في يسوع .**

وبالمثل يخبرنا يسوع : « **أنتم فيَّ وأنا فيكم** » (يو ١٤ : ٢) ففي الوضع الأبدى نستطيع أن نلاحظ أنفسنا مندمجين فى يسوع - فى جسد المسيح - بنوع خاص ، ولكن فى النظام الزمنى والتاريخى . فى محيط العمل والطاعة فإن عمل يسوع فينا وخلالنا هو الذى يبدو أكثر وضوحاً .

« **التلميذ الذى كان يسوع يحبه** » (يو ٢٠ : ٢) **هو الذى سجل لنا أعظم كلمات المحبة الحارة التى وجهها الرب لتلاميذه** ، ولأنه كان يتكئ على صدر السيد سمع منه كل ما قاله بصوت منخفض بخصوص من سيسلمه (يو ٢١ : ٢٠) إذن يسوع يكشف أسراره فى حوار ملؤه الثقة لمن يقف منه موقف المحبة العميقة المنطلقة .

علينا أن نطلب الالتصاق بالمسيح لذاته ، وفى ذاته . وحينئذ نرى أن نور السيد قد أضاء المشهد كله ، وكشف لنا الخطوات العملية ذات الأهمية المطلقة . إن مجرد التقوى العاطفية ليست هى الالتصاق بالمسيح ، لذلك فنحن

نضطرب حين نرى بعضًا من الناس الذين سموا «متصوفين» يبقون غير مبالين بأنواع الظلم والقسوة تقع على أناس آخرين بالقرب منهم . أليس البحث وراء الفائدة من تقديم تضحية مكلفة سببًا منع بعض التلاميذ الغيورين المرافقين من فهم غنى المحبة الكامن وراء كسر قارورة طيب كثير الثمن على قدمى المخلص ؟ « لماذا هذا الاتلاف ؟» (مت ٢٦ : ٨) . حقًا ، ولكن ... من أضاع حياته ... » (مت ١٠ : ٣٩) .

لقد اعتقدت السامرية أن المسيا سوف يعلمهم كل شئ حين يجئ ، وها يسوع قد جاء ... « أنا الذى أكلمك هو » (يو ٤ : ٢٦) . وفى الأصل اليونانى « أنا الذى أتحدث معك فى ألفة » بمعنى المحادثة الودية العميقة . هنا يكمن الفرق الكبير بين الحوار الحر المتبادل الذى تعنيه هذه الكلمة وبين التعبير الوقور « أنا هو » ، الذى كثيراً ما عبر به الله عن نفسه فى العهد القديم . يسوع يكشف لنا ذاته ربًا ومخلصًا - أنا هو ولكنه يعلن لنا هذا خلال الحوارات الودية البسيطة : « أنا الذى أتحدث معك » .

ولعلنا نرى نفس الفكرة فى حادثة شفاء المولود

أعمى ... « أتؤمن يابن الله ؟ » – « من هو يا سيد لأؤمن به ؟ » – فقال له يسوع : « قد رأيته ، والذى يتكلم معك هو هو » (يو ٩ : ٣٦ ، ٣٧) . **إن الذى يتحادث معك فى ألفة هو الشخص المجيد البعيد جداً الذى ينتظره الجميع .** فابن الانسان يريد أن يتحدث معك كانسان لانسان . إنه فوق كل شئ وأسمى من كل شئ ... ولكن أنظر كيف يتضع لأجلك وينزل إلى مستواك .

الالتصاق ... ها الليل يرخى سدوله ، والهواء يصير بارداً وعمرى يقترب من النهاية . إنها الساعة التى وصفها نشيد الأنشاد (٤ : ١٦) . تعال ، يا حبيبى ، فى برودة المساء ، تعال إلى الجنة ، ودع الريح تهب ، نسمات روحك القدوس ، وتعبر على الزهور التى غرستها يداك فينتشر أريجها هنا وهناك .

إن أزهارك لكثيرة فى جنات الآخرين ، أما فى جنتى فلا أرى أزهاراً ... فلقد وطأتها بقدمى وتركتها تحترق بالحرارة الملتهبة ، فلم أنتج إلا شوكًا ... وهذا الشوك صار جزءاً من الأكليل الذى صبغ رأسك يا مخلص بالدم .

ألا ليت أزهارك تحيا من جديد ! أعطني يارب أن تنمو هذه الأزهار من جديد وتترعرع بمعجزة ، بأنفاسك المقدسة . ألا ليت الحبيب يستطيع أن يتنسم مرة أخرى في المساء أطياباً في جنته .

٤٠
سلام يسوع لتلاميذه

قال الرب « سلامي أترك لكم ، سلامي أعطيكم » (يو ١٤ : ٢٧) ، وهكذا أعطانا يسوع سلامه ، أي أنه لا يعيره لنا لكي يستعيده ثانية . وقد قال « سلامي » لأن السلام الذي في يسوع يصير تركة نهائية لتلاميذه ، وفي بداية كل يوم أستطيع أن أثبت في سلام المخلص مهما حمل إليّ هذا اليوم من اضطرابات .

ولقد أعطى السيد سلامه لتلاميذه قبل بداية آلامه مباشرة . وحين تواجهت نفسه مع الآلام الوشيكة والموت المحدق ، أعلن سلامه وأعطاه . ومادام يسوع رئيساً

للسلام خلال هذه اللحظات ، إذن فقوة هذا السلام لن تتخلى عن تلميذه فى لحظات الصراع الأقل شدة .

« ولكن أقول لكم : لا تقاوموا الشر » (مت ٥ : ٣٩) كم تبدو هذه العبارة متعثرة وحمقاء فى نظر الناس وخصوصًا غير المؤمنين ! كيف يمكننا أن نفسر تحويل الخد الأيسر حين يلطمنا أحد على الأيمن ، وكيف نعطى الرداء أيضًا لمن طلب الثوب فقط ، وكيف نسير ميلين مع من سخرنا ميلاً ، ثم كيف نبارك من يلعننا ؟ هل قد استوعبنا طرق ووسائل محبة الأعداء سواء الشخصيين أو العموميين ؟ « لستما تعلمان من أى روح أنتما ... » (لو ٩ : ٥٥) .

هذه مقاومة للانجيل ... فالخيار هنا ليس بين المقاتلة وعدم المقاتلة ، بل بين المقاتلة واحتمال الألم ، وبالاحتمال يكون النصر . فالمقاتلة تجلب نوعًا من النصر المزيف ، فيسوع هو الحقيقة المطلقة ، أما الاحتمال بدون مقاومة فيعبر عن حقيقة يسوع المطلقة . وفى ضوء هذا الفهم نجد احتمال الألم نصراً حقيقياً . لقد قال يسوع : « يكفى » (لو ٢٢ : ٣٨) حين قال له التلاميذ عندنا سيفان . ولم

يفهم التلاميذ معنى كلام المسيح « الذى ليس له سيف فليبع رداءه ويشترِ سيفًا » (لو ٢٢ : ٣٦) ، فلقد كان يسوع يقصد : **أنه توجد أوقات فيها ينبغى أن نضحى بألزم ما لدينا كى نركز أبصارنا على هجمات الشيطان ، ولكن الدفاع والهجوم هنا هما على الصعيد الروحى .**

لقد تقدم يسوع إلى العسكر القادمين بمشاعل وأسلحة ليلقوا القبض عليه (يو ١٨ : ٤) . **إنه يمضى نحو الآمه** بحرية وطواعية . ثم نراه يشفى أذن عبد رئيس الكهنة التى قطعها سيف أحد التلاميذ (مت ٢٦ : ٥١) ، فلم يكن بهذا يمنع تلاميذه من الدفاع عنه مستخدمين القوة فحسب ، بل كان يصلح أيضاً ما أتى به السيف من أضرار . انها المعجزة الوحيدة التى أتاها يسوع أثناء آلامه

والمثل الذى أعطاه يسوع عن عدم المقاومة لا يعنى الموافقة على الشر أو مقابلته بسلبية كاملة ، بل هو عمل إيجابى . إنه جواب المحبة المتجسدة فى يسوع على مؤامرات الأشرار . حقًا ، أن النتيجة السطحية هى انتصار الشر ، ولكن فى النهاية ترى قوة المحبة تنتصر .

لقد أعقبت القيامة الآلام ، ولقد أسرت مسالمة الشهداء وغيرت المضطهدين أنفسهم . إن سفك الدم هو الذى ضمن انتشار الانجيل . هل هذه سالمة الخنوع الغامضة ؟ كلا ، بل هى لهيب مشتعل ومنتصر . ولو أن يسوع طلب إلى أبيه فى جثسيمانى أن يرسل إليه أثنى عشر جيشًا من الملائكة لما صارت هناك قيامة ولا عنصرة ؟

٤١
خصيان لأجل الملكوت

« يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » (مت ١٩ : ١٢) . والأصل اليونانى لكلمة « يقبل » أقوى من « يفهم » . وقد وافق يسوع على رأى تلاميذه « إذا كان هذا أمر الرجل مع امرأته فلا يوافق أن يتزوج » قائلاً « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم » (مت ١٩ : ١٠) . لقد أعلن المخلص فكره بوضوح ، ففى عرس قانا الجليل

(يو ٢ : ١) بارك يسوع اتحاد الرجل والمرأة . ولكن في كلامه السابق مع تلاميذه بين أن هناك أناسًا بالذات يكفيهم أن يخطبوا ليسوع وحده فيصير هو عريسهم الوحيد .

يا بنى ... أنا لك وأنت لى . كرر هذه العواطف بقدر ما تستطيع ... « أنت لى وأنا لك » . تغذ بهذه الكلمات رغم ماضيك المدنس بالسقطات . ألا تود أن تبدأ الآن لتجعل من كل يوم يمر بك ... يوم عرس لنا ؟ لأخطبك اليوم عن قرب وبتمهل ! إمضِ الآن إلى رفقائك من البشر ، ولكن احتفظ بسرنا لنفسك .

ها إن الصوت يزداد وضوحاً : « هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه » (مت ٢٥ : ٦) . إنه على وشك الوصول . فاستيقظى يا نفسى لأنك كنت واحدة من العذارى الجاهلات ، ويكاد مصباحك أن ينطفئ . أين ستجدين زيتاً ليشتعل اللهب من جديد . ليس هناك وقت لشراء الزيت ، وهل يغلق باب الوليمة دونك ؟

يا يسوع ... إننى أطلب منك زيتًا فى هذه اللحظة الأخيرة أنا لا أستحق إلا أن ترفضنى ، ولكنى لا أرتكن

إلى أي استحقاق فيّ بل أثق في رحمتك فقط . أعطني بسخاء شيئًا من زيتك ، لأنني لا أستطيع أن أشترى زيتًا بعد .

الموت هو الفجر الذى يسبق شروق الشمس الحقيقية إنه لقاء مع العريس ، وهأنذا ماض لأقابله وأرى وجهه . سألقى نفسى بين ذراعيه ، ترى ... هل سيلحظنى إذا كنت أحتمى فيه ؟ إنه يقف على الشاطئ ، تمامًا كما فعل مرة فى الصباح الباكر إذ كان يستظر تلاميذه .

كلا ، ليس الموت لقاء مع يسوع ، بل هو اتساع للرؤيا . فحتى قبل موتى ينبغى أن أبقى بجواره واستريح فى حضنه وعليّ أن أعبر وادى الدموع بين ذراعيه . ولكن فى النهاية لن أكون بعد كفيفًا ، بل سوى أرى الشخص الذى يحملنى ، أراه بوضوح كامل ذاك الذى أحسست به فى غموض الليل فحبيبك سيقودك إلى النقطة التى فيها يكشف ذاته لك .

قال الرب : « إن أراد أحد أن يأتى ورائى ، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى » (مت ١٦ : ٢٤) ، وهنا تظهر الأوجه الثلاثة لتلميذ المسيح : انكار الذات

والترك ، وحمل الصليب ، ثم السير فى أثر خطوات السيد .

– يا بنى ... أترك كل ما يتعلق بنفسك .

– يا سيد ... هأنذا أعطيك كل شئ .

– لا يكفى أن تعطينى كل ما تملك ... أنا أريدك أنت أعطنى قلبك .

– يارب ... هانذا أعطيك قلبى ... فخذ قلبى وكل كيانى .

– والآن يا بنى أحمل صليبك ... لا أقصد الصليب الذى تتصوره أنت أو تتوق إليه ، بل ذاك الذى سأضعه أنا على كتفيك .

– يا سيد أنا أقبل كل الصلبان التى تريدنى أن أحملها فقط أعطنى القوة اللازمة لحملها .

– يا بنى ... لا تقل « صلبان » كأن هناك عدداً كبيراً منها ... فهناك فقط صليبى أنا ، وصليبك هو صليبى مقدم إليك بطريقة تناسبك وتناسب قوتك . بعض الناس يتحدثون عن « صلبان صغيرة » ، ولكن ليس هناك شيئاً

منها ... ومهما كان الشكل الذي يأخذه ، فإنه صليبي أنا ، يجب أن تحمله .

– يا سيد .. سأحمله إن أعطيتني القوة اللازمة لذلك .

يا بني ... لا يكفي أن تحمل صليبك وتسير ورائي . حقًا إن من يحمل صليبًا فهو يسير ورائي بالفعل ، ولكن عليك أن تتبعني إلى النهاية . أنت تعرف إلى أين أنا ذاهب ... إلى الجلجثة ... فالصليب أحمله – وتحمله أنت أيضًا – هو الأداة لحياة مذبوحة إلى الموت . فبعد حمل الصليب يجب أن تنطرح عليه لتسمر فوقه وتموت . هل تنوي أن تبقى معي حتى النهاية ؟ هل تنوي أن تحمل صليبي حتى الجلجثة ؟ وحين تصل إلى هناك ألا تريد أن تشترك في صلبوتي ؟

– يا سيد ... لست أملك القوة لأصلب معك .

– يا بني ... « من يضيع حياته لأجلي يجدها » (مت ١٦ : ٢٥) . أنا أعلم أن التضحية تجذبك ، ولكنك لا تستطيعها ، وأنا أحب أن أعدك لها يومًا فيومًا .

فكن مستعداً كل صباح لأن تعانق الصليب الذى يقدمه لك اليوم الجديد . اقبله فى روح الجلجثة وكخطوة جديدة فى طريق الألم .

٤٢
وقفة تحت الصليب

رفع يسوع نظره نحو السماء - قبل آلامه - وقال : «**أيها الآب ، قد أتت الساعة**» (يو ١٧ : ١) . لقد كان يسوع ينتظر اللحظة التى عينها أبوه ، وها قد أتت الآن . إن إتمام المشيئة الالهية يستلزم قبولاً لها فى الوقت المحدد ، بحيث ينتفى كل تباطؤ أو تسرع .

وأثناء آلامه فى جثسيمانى - حيث ظهر له ملاك ليقويه (لو ٢٢ : ٤٣) لم ترفع عنه الكأس ، **والملاك الذى يقويه يشير إلى ضرورة قبول الكأس .**

ولقد حدث مرتين - حين ذكر يسوع اسمه للجنود - أن سقطوا على وجوههم إلى الأرض (يو ١٨ : ٥) ، وهذا

يعني أن يسوع أقوى منهم وأنه أسلم نفسه طواعية واختياراً .

لم نعد نسمع من يسوع كلمات توبيخ للكتبة والفريسيين « **أولاد الأفاعى** » (مت ٢٣ : ٣٣) و ... «**غضب الحمل**» (رؤ ٦ : ١٦) فلا مكان لها أثناء الآم المخلص ، وبقدر ما تزداد الآم يسوع بقدر ما يثبت أكثر أنه شفوق ورحيم .

يا سيد ... أنت لم تحب الناس أثناء آلامك بدرجة أقل من محبتك لهم قبلها ، ورغم أنك تكره خطيتى إلا أنك أثناء ممارستها تحبنى باهتمام أكثر .

يقول الكتاب أن يسوع فى آلامه « بدأ يحزن ويكتئب (مت ٢٦ : ٣٧) فلقد اختبر كل ما تتعرض له طبيعتنا من هزات وهجمات ، ولكن لاهوته بقى فى سلام كامل إلهى لنفس حزينة حتى الموت (مت٢٦ : ٣٨) (من ناحية بشرية) .

والتعليم القديم عن المسيح أن طبيعتيه متحدتان فيه بلا انفصال ليس من قبيل الكلام أو المعرفة الباطلة ،

ونحن نرى فى ضـــوء هذا التـعليم الـصـفـات الالـهـيـة والانسـانيـة مـجـتـمـعـة فى يسـوع . **فلقد تضـرب العاصـفة سـفـح الجـبـل ولكـن نـور الشـمـس يـسطـع عـلـى قمتـه .**

« ليس لأحـد حب أعظم من هذا ، أن يضـع أحد نفسـه عن أحبائه » (لو ١٥ : ١٣) ... هذه الكلمـات تحـوى أكـمل وأعـمق شـرح لآلام المخلص . فـأعظم حـب هـو أقـصى حب ممـكـن ، لأنـه يتـطـلـب عـطـاء الـنـفـس إلـى المـوت ، **لذلك فـالجلجـثة لـيست من متطلبـات العـدل بل من مـتطلبـات الحب .**

يا سـيـد هـانـذا أقف تحت صـليـبك مـع مـريم أمك ومع التلمـيـذ الذى كنت تحـبـه ، ومع النسـوة اللواتـى بقين على اخـلاصـهن لك (يو ١٩ : ٢٥) وإذ أتشـجع الآن أنظر إلـيك وأتفـرس فى نبيحـتك ، فـأتعلم مـا لم أعرف أن أكتسـبه من كلمـات الانجيل نفسـهـا .

قدماك سمرتا إلى الخشب ، وصليبك هـو المعـصرة التى تعصـر فيهـا الكرمة الحقـيقية . ليس أمامك مـهرب من هذا

المصير ، بل أراك تنتظرنى هناك على موعد لقاء حددته لى . وإذ سمرت بالصليب ربطت نفسك بهذا الانتظار ، ومهما حدث من جهتى من تأخر فى المقابلة فإنك باق هناك فى الموضع الذى اخترته لنفسك .

ذراعاك مبسوطتان مفتوحتان دعوة لكل الناس ، ولن تغلقا ثانية لأن المسامير قد جعلتهما في هذا الوضع ... وضع الدعوة والعناق . وهما يناديانى فى هدوء : « تعال » .

رأسك منكس ، فلقد خفضته فى هدوء إذ قبلت وأتممت المشيئة التى هى مشيئتك أيضاً بقدر ما هى مشيئة الآب والروح وهذه الانحناءة علامة طاعة لما تطلبته محبة الثالوث للبشرية ، كما أنها تتجه نحو من هم أسفل الصليب ... من أحبوك مع من صاحوا فى وجهك «أصلبه » ... (يو ١٩ : ١٥) ونحو من ينتظرون فى أنين متصل ، ومن يبحثون عنك وهم لا يدرون .

عيناك مغلقتان الآن ، وفى مشهد باطنى واحد تريان الآب والناس ... فكيانك كله يتحرك نحوهما كموضوعين لحبك .

الدم ينزف من جبينك ويديك ، ومن جسدك المهشم ... ويسيل ببطء فى خطوط طويلة ، وسيجرى من جنبك أيضًا كما لو كان من قلب قد اعتصره ضغط المحبة المتألمة ... وها الكأس ينسكب كتقدمة .

إكليل الشوك أدمى رأسك ، وكأن خطايا البشرية قد جمعت فى هذه الدائرة فتراكمت عليك أشواكًا . فكل خطايا البشر تجمعت معًا وجاء الكاهن اليهودى ليضعها على رأس الذبيحة ... وهكذا وضع الناس خطاياهم بأيديهم على أكرم ما فى جسدك ... على رأسك .

ولكنى أرى حول هذه الرأس أشعة من نور ، فهناك هالة ذهبية تحيط برأسك الدامى . وهذا ما يعطى معنى للمشهد المؤلم ، لأنى إن لم ألحظ هذا النور فلسوف أحصل على صورة ناقصة للمصلوب ، فهو أيضًا رب ومخلص .

يا يسوع ... لا أستطيع أن أتكلم أمام صليبك أكثر من هذا ، ولا أن أفكر أكثر من ذلك . وكل ما أرجوه هو أن تتغلغل صورتك فى أعماقى ، بقدر ما أنظر إليك ، ومع كل نسمة أتنسمها ، وكل نبضة ينبض بها قلبى . فيا أيها

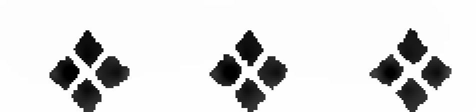
المصلوب المضئ أدخل صورتك إلى أعماقى ، وسمر نفسك بجسدى ، سمرها بروحى . أعطنى أن أحملك معى إلى الأبد محتضناً إياك بكل قوتى ... أيها الحبيب . ومع أن كثيرين لن يفهموا شيئاً وسوف يتحدثون عن تصورات مريضة ... إلا أننا معاً !

إنى لك ... وبجملتى بين يديك ... لا أستطيع إلا أن أتمم واكرر هذه الكلمات . كن ختماً لقلبى وحواسى . ليت منظر يديك المبسوطتين على الصليب لا يفارقنى بل يخلصنى وقت التجربة ! أعطنى أن لا ألوث هذا المنظر حتى أقترب من لحظة الموت فى رعدة ولكن بفرح .

يا سيد ... آلامك لم تنته ، وجراحك لازالت تنزف ! فهم يصلبونك كل يوم . أين ؟ ... فلنقرأ الصحف اليومية فنرى جسدك يسحق ويصلب فى كل مكان وزمان فى شخص أعضائك من بنى البشر .

« هل كنت هناك عندما صلبوا سيدى ؟ ... هذه الترنيمة الزنجية سؤالاً جوهرياً : هل كنت أنا هناك

حيث صلبوا سيدى ؟ هل أستطيع أن أتصور جلجثة العصر الحديث باتساعها الشامل ، مع أن تصورى ضيق ومنحصر فى ذاتى ؟ هل أستطيع أن اكون حاضراً فى آلام المسيح التى يحسها كل انسان يريد الشيطان ابتلاعه ؟ هل أنا هناك حيث الآلام التى يسببها الناس عادة ، وأحياناً باسمك يارب ؟ هل أستطيع أن اكون حاضراً حوار المسيح الودى العميق مع كل شخص منكوب ؟ وهذا حوار ودى لأننا من ناحية نرى رأسًا بشرية ، ومن ناحية أخرى نرى وجهًا قدوسًا مجروحًا ومرذولاً ؟ سوف أحضر هذا الحوار إذا حملت فى داخلى صورة وجهك القدوس .



٤٣
استمرار آلام المسيح

فلنتأمل الآن فى استمرار وحقيقة آلام المخلص . لقد كبلوا يديه من أجل حريتنا . إنه يحارب عنا ومعنا ، وكثيراً ما يجرح بل يبدو ميتًا فى نفس إنسان ما . وليست معرفته لآلام البشرية نتيجة عطف أو اشفاق خارجى بل نتيجة اتحاد والتصاق عميق بنفس هذه الآلام . لذلك فهى معرفة تذهب إلى أعمق من الضمير الذى يحتمل آلامه الخاصة . يسوع يعرف من الداخل وليس من الخارج ، فهو لا يقف عند حد المعرفة السابقة بل يستوعب الآلام تماماً ، ويأخذها لنفسه كما يأخذ الحديد المحمى النار لنفسه ونحن نستمد منه وجودنا كإله ، وهذا الوجود عميق وداخلى لدى كل الكائنات وخصوصًا لدى الإنسان ، فهو أقرب من الانسان لنفسه ... نقول هذا دون خلط بين الخالق والمخلوق . لهذا فكل شئ يحدث للانسان - حتى الآلام والخطية - يستمد إمكانية الوجود منه ، لذلك فالآلام

البشرية كوجه سلبي للوجود تجد جذورها في عمق وجود الله . من المؤكد أن الله يدين الشر في كل صوره ، ولكنه يحس ويعرف آلام البشر بصورة أعمق من أي انسان في الوجود ... فهو كإله يعرفها من الداخل إذ قد جاز فيها فعلاً .

يا سيدي ... هل كمالك الإلهي يتنافى مع التألم ؟ من الواضح أنه لا يتناسب مع الألم بالمعنى الانساني الذي يستوجب تحديداً وتخصيصاً بل وتحطيمًا لتكامل الفرد . وكذلك ليس هو ألمًا مفروضًا من الخارج ... من قوة أخرى . لذلك فالإنسان يستطيع أن يتألم أما أنت يا سيد فلا يمكن أن تحد بأي شئ أو بأي شخص . ونحن لا نقصد انتقاصاً من كمالك الإلهي فنعتبر الألم شيئًا قد فرض عليك فقبلته ، بل نقصد أنك قد أخذت على عاتقك الآم البشرية بدافع من ذاتك وهكذا نرى أن أخذك لهذه الآلام كان عملاً حراً من أعمال ألوهيتك وسلطانك دون انتقاص لكمالك الالهي . حقًا ، أن هذا العمل لا يستطيع أن ينقص خارجيًا من كمالك الالهي : أيها المعلم الاله ، ولكنه يستطيع أن يفجره . وأنا استعمل هنا تعبير « التأثير الخارجي » و « الانفجار » لأن هذا العمل يستلزم نوعاً من

الانفجار الذى ينجم عنه نظام معين فى الوجود . أقصد أن كمالاً معيناً ينمو ويعطى مكاناً لبزوغ كمال فى شكل آخر ، أسمى من الأول ... أسمى بقدر ما يكون فى هذه اللحظة منفصلاً ومرغوباً فيه من اللّه . فإن كان الأمر كذلك يا مخلصى ... أفلا أستطيع أن أقول - ولكن ... بالتأكيد بطريقة غامضة وشفتين مرتعدتين - أنك تستطيع أن تتألم دون مساس بكمالك ودون انتقاص يفرض على حياتك القائمة المجيدة ؟ الامك - ببساطة - هى تعبير عن محبتك الإلهية ، التى حملت نفسها حملاً ثقيلاً بحريتها .

ومع أن الامك يا سيدى حقيقة تاريخية ، إلا أنها فوق التاريخ ! فهى تخص زمنك الخاص ... زمن المسيح . ونحن نميل لأن نقحم فكرة التتابع فى فهمنا للحياة الإلهية لأننا نعيش فى عالم الأحداث المتتابعة . ولكنك يا الهى تتعالى فوق الأحداث والتاريخ لأنك أبدى ، لا بمعنى أن الأبدية سلسلة لا تنتهى وخط يمتد إلى ما لا نهاية ، بل بمعنى أن أبديتك الالهية هى نقطة فريدة فيها الكل حاضر وموجود . فالماضى والمستقبل يمتزجان فيها مع اللحظة

التى نعيشها الآن . ففيك يا سيدى ... الوجود حاضر بكماله ، ومجموع الأحداث الزمنية يذوب فى وحدة حاضرة (الآن) ، وهذه تتخطى كل « قبل » و « بعد » ، أى كل الأحداث السابقة والقادمة فى خبرتنا الانسانية . لقد حملت يا اللّه زمامنا الانسانى معك إلى السماء ... الأبدية الإلهية . لذلك فأبديتك تحوى فى داخل كل لحظة من لحظات الزمان البشرى ... الماضى والمستقبل ، ولذلك أيضًا فكل آلام البشرية التى حملتها معك على الصليب ، وعملية الصلب نفسها ، ليست مجرد أحداث فى الزمن . ففى أبدية حياتك الإلهية تصير الجمعة العظيمة والقيامة حدثاً واحداً ، مع أن الصلب يسبق القيامة فى التاريخ .

بالآلام ... انتصر اللّه على الألم . لذلك فآلامك يارب لا تتعارض مع مجدك وغبطتك . إنها المادة التى تستخرج منها نصرتك الأبدية ، فآلامك تغلبها النصرة فستضئ وتتحلىٰ بها دموعك يجففها الفرح الحار مباشرة ، وبهذا تكون آلامك وقودًا يغذى النيران المشتعلة .

ولكن ... هل أجرؤ يا مخلص أن أقول أنك لازلت

تتألم حتى الآن ، كما كنت تتألم سابقاً . وإن الامك الحاضرة هى سر أتحدث عنه بالتشبيه والتقريب فقط ؟ فحين أقول أنك لازلت تتألم ، فهذا لأنى لم أجد كلمة لأعبر بها عن حقيقة أحسها باطنياً . وحين أقول « يسوع يتألم » لا أقصد أن أصفَ خبرة مشابهة لخبرتى حين أنطق بنفس الكلمة . أهى إذن كلمات لمجرد الاستعارة والحديث ؟ كلا ، بالتأكيد فأعتقد ياربى أن آلامك الحاضرة حقيقية بل تفوق آلامنا فى حقيقتها . ولكنى لا أفكر فى آلامك مستخدمًا مقاييسَ آلام البشرية ، بل أقول أنك تتألم لأن هذه الكلمة هى الترجمة الوحيدة - القاصرة - لشئ موجود فى اللّه . ففيك يارب شئ يقابل آلام الخليقة ، وإن كان بطريقة فائقة لا يعبر عنها .

لماذا ، إذن ، أستمر فى التفكير فى هذا الموضوع ؟ ولماذا أتابع البحث عن كلمات أعرف أنها تمتمة يائسة ؟ هل كل هذا يحمل أهمية خاصة لحياتنا اليوم ؟ ... نعم ... أؤمن بذلك فى عمق ، فلو أننا قبلنا هذا الأمر وتأملنا فيه - ولعلها يا سيدى تكون رسالة حقيقية ، لو تأملنا فى الأخبار الطيبة التى تخص المسيح المتألم الذى

لازال معنا الآن منتصراً على آلامه ... فلسوف يخفف عنا هذا وطأة الآلام البشرية ، فالنفوس المتألمة مهيأة لتقبل وعود الفرح .

لذلك نستطيع أن نقول للمرأة التى فقدت وحيدها حديثًا ، أو للزوجة الشابة التى فقدت زوجها منذ قليل : « إن يسوع نفسه – فى هذه اللحظة بالذات – يعانى ما تعانيه من ألم ، وينتصر لك عليه إلى الأبد . **فالصليب الذى تحملينه كسمعان القيروانى هو صليب مخلصك ، وهو يحمله معك الآن فعلاً** ... ومع أنك لا ترين الآن أنك إذ تحملين الصليب مع المسيح تسيرين فى موكب النصرة ، إلا أن عيناك ستنفتحا فيما بعد وتتحققين من هذا » .

لقد شعر القديسون دوماً أن آلام المخلص لم تكن حدثاً بسيطاً فى الماضى ، فعاشوا شركاء فيها ومعاصرين لها بطريقة ما . ولم يهتموا بالتوفيق بين مجد المسيح بعد صعوده وبين آلامه الحالية . إنها أمور لا يمكن البرهنة عليها ، ولكن لنرجع إلى القديس أغسطينوس لنراه يضع

الفكرة هكذا : « أعطنى إنسانًا يحب ، ولسوف يشعر بما أقول » .

لقد ساهم الآب والروح فى آلام الابن ، فالأقانيم الثلاثة تلتزم بمطاليب المحبة التى فى جوهرهم الواحد – الآب يسند صليب المخلص بيديه بينما ترفرف الحمامة فوقهما . ولقد كان هناك صليب فى قلب اللّه قبل أن يرفع خارج أسوار أورشليم وإن كان الصليب الخشبى قد مضى فمازال الصليب الذى فى قلب اللّه باقيًا حتى الآن . والحمل المذبوح منذ تأسيس العالم لا يتوقف عن كونه مذبوحًا الآن .

« هات أصبعك إلى هنا ، وأبصر يدى . وهات يدك وضعها فى جنبى » (يو ٢٠ : ٢٧) ... هذه الكلمات تحوى أكثر من مجرد دعوة لاقناع توما بحقيقة قيامة المخلص بالجسد ... .

يا بنى ... انظر إلى جراحاتى ، فكل الذين يصيحون ضد الحق يريدون أن ينتقصوا من انجيلى ليصير مجرد حكمة ومثالية : اننى المخلص الذى مات على الصليب ، وهانذا ادعوا الذين يستسيغون الانتصار والتجلى والقيامة

ويتجاهلون الجلجثة أن يذكروا - بواسطة جراحاتى - أن الصليب شرط ضرورى للخلاص .

كما أن جراحاتى تحمل معنى آخر ... فمنذ صعودى تستطيع أن تلمس يدى المثقوبتين وجنبى المطعون . ذلك حين تنحنى بمحبة لتواسى المتألمين والمجروحين من بنى البشر . ففى أوقات الشك أنظر إلى شخص أقل منك ، وعزه فى هذا الألم الغير العادى ... حينئذ سوف تلمسنى أنا . وهكذا تتأكد من حضورى الحى بقدر ما تلمس أعضائى المتألمة .

٤٤
من يدحرج لنا الحجر

إنه فجر القيامة ... والنسوة ذاهبات فى طريقهن إلى القبر باكراً جداً ، يحملن حنوطاً ، وكن يقلن فيما بينهن : « من يدحرج لنا الحجر ؟ » (مر ١٦ : ٣) ، لأن حجراً كبيراً كان قد وضع على باب القبر . ولقد كان من غير

المحتمل - أمام الفكر البشرى - أن تصل النسوة إلى جسد المخلص .

وكثيراً ما يبدو يسوع سجيناً فى نفسى ، وكأنه بلا حراك تماماً كما كان فى القبر قبل القيامة . وحجر خطاياى الكبير يجعله هكذا . كم من مرة اشتاقت نفسى أن ترى يسوع قائماً فى نوره وقوته ! كم من مرة حاولت أن أدحرج الحجر ولكن بلا جدوى ! إن ثقل الخطية مع ثقل العادات المرتبطة بها كان أقوى جداً ... وكثيراً ما قلت لنفسى فى يأس : « **من يدحرج الحجر ؟** » .

ورغم ذلك ، النسوة ماضيات فى طريقهن إلى القبر . واقترابهن عمل إيمانى محض . فهذا الايمان - أو هذا « الجنون » - سينال مكافأته ، وعلىّ أن أستمر أنا أيضاً فى هذا الرجاء الملتهب . أن الحجر سيدحرج .

ولكن النسوة لم يذهبن إلى القبر بأيد خاوية بل أحضرن معهن أطياباً ليدهن جسد المخلص (مر ١٦ : ١) . إذن فعلىّ أن أحضر شيئاً معى - على الأقل كعلامة لنيتى الحسنة - إذا كنت أقصد أن يتدحرج الحجر عن نفسى . وربما كان الشئ قليلاً جداً ، لكنه يجب أن

يكلفني بعض التكلفة ... أى أن يكون فيه شئ من التضحية .

والآن ... لقد وجدت النسوة أن الحجر قد دحرج ... بطريقة لم يتوقعنها ، « حدثت زلزلة لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر » (مت٢٨ : ٢) . فلكى يتدحرج الحجر لابد من معجزة مروعة - زلزلة ! لأن مجرد دفعة أو ازاحة بسيطة لن تكون كافية . **هكذا أيضاً ذلك الحجر الذى يبدو أنه يشل حركة يسوع فىّ يحتاج إلى زلزلة ... أى إلى انقلاب باطنى عنيف ، وتغيير جذرى كامل .** فالأمر يُحتاج إلى قذيفة من النور لتهزنى ، وهكذا يقوم المسيح فىّ إذ يختفى انسانى العتيق ليعطى مكاناً للانسان الجديد . وهذا الأمر يتعدى التعديل والتنظيم إذ يستلزم موتاً ثم ولادة .

لقد أعلن الملاك للتلاميذ أن يسوع القائم ينتظرهم فى الجليل ، ويسوع نفسه يحدد الأمر قائلاً : « **اذهبا ، قولا لاخوتى أن يذهبوا إلى الجليل ، هناك يروننى** » (مت ٢٨ : ١٠) . لماذا هذه العودة إلى الجليل ؟ هل قصد يسوع أن يحمى تلاميذه من عداوة اليهود ؟ أم أراد أن

يؤكد لهم أن بعد اضطرابات آلامه ستأتى أيام سلام وهدوء ؟ ربما ... لكن يبدو أن هناك سبباً أعمق .

لقد قابل يسوع تلاميذه فى الجليل ، وهناك سمعوا دعوته وبدأوا فى اتباعه ، إذن فذكريات تلك الأيام تحفظ فى نفوسهم نضارة وانتعاشاً . وبعدما بدا منهم من ضعف وعدم أمانة أثناء آلامه ، أراد يسوع أن يعيدهم ثانية إلى النضارة الأولى والحرارة القديمة ... أراد أن يجدد عواطفهم وعزيمتهم التى كانت أثناء اللقاء الأول ، ففى جوّ الجليل الذى أعاده الرب للحياة منْ جديد – سيكمل اعلانه لهم .

و هناك « جليل » فى حياة كل منا ، أو على الأقل بين أولئك الذين قابلوا المخلص يومًا وأحبوه . هذا الجليل هو الوقت الذى أحسست فيه بالرب وهو ينظر إلىّ ويدعونى باسمى . ومنذ ذلك الوقت توالت الأعوام الطوال ، ربما محملة بخطايا كثيرة ، ويبدو الأمر وكأنى قد نسيت يسوع . ولكن رغم هذا ، فمن يقابل يسوع – ولو مرة واحدة – لا يستطيع أن ينساه أبدًا . وها يسوع يدعونى كى أمضى إلى « جليل » حياتى وأحيى من جديد ذلك الحب والالتصاق الذى تميزت به تلك الأيام الأولى . وهناك سأراه من جديد .

يا سيد ... أحب أن أعود إلى الجليل ، ولكن هل سأقابلك هناك ؟ كيف يشتعل قلبى الذى صار بارداً ؟ هل مجرد تذكر « جليل » حياتى يكفى كى أستعيد عواطف لقائى الأول معك ؟

« هو يسبقكم إلى الجليل ... » (مت ٢٨ : ٧) ... يا بنى لا تفكر فى لقائنا الجديد بألم ، فأنا سأكون أميناً فى الوعد الذى قطعته معك . وسأصنع أكثر من مجرد انتظارك فى « جليل » الذكريات ، أنا أسبقك لأقودك هناك . وحينما تثبت قلبك من جديد على الجليل ، فالشخص الذى يقودك ، سيعرفك بنفسه ويتحدث معك ...

٤٥
أشكال يسوع المتنوعة

ظهر يسوع بعد القيامة فجأة لتلاميذه ، ولم يصرف وقتاً طويلاً فى عتابهم أو تأنيبهم على نقصهم وعدم ايمانهم ، ولا هم أضاعوا الوقت فى الاعتذارات المستفيضة وشرح الموقف . بل حدث كل شئ فى بساطة وألفة : « هل

عندكم طعام » (لو ٢٤ : ٤١) ... « فقدموا له جزءاً من السمك المشوى مع شهد عسل » (لو ٢٤ : ٤٢) . فبدأت الحياة تعود طبيعية كما كانت ، من نفس النقطة التى قوطعت وتوقف فيها .

إذا حدث أنى خنت يسوع وتركته فالأمر لا يستدعى أن أقلق كثيراً فى اعداد ظروف المقابلة التى سأتوب فيها . بل علىّ فقط أن أعيد ادخال السيد إلى حياتى اليومية ، وأضعه فى الظرف الحاضر ، وأدمجه فى المشكلات والآمال الخاصة بهذه اللحظة . يكفى أن يكون الوضع تقديم نصيب ليسوع من السمك والعسل اللذين نأكلهما يومياً . وللوقت سوف يستعيد يسوع مكانه على المائدة ، ويشاركنا حياتنا من جديد . هذا يحدث فى لحظات ، ولكن علينا أن نفعله فى اتضاع وتوبة . فالوضع الخارجى سيكون بسيطاً وسهلاً ولكن يلزمنا انسحاق داخلى وخضوع وتذلل وانسكاب .

« ثم ظهر فى شكل آخر ... » (مر ١٦ : ١٢) ... لقد كان يسوع يظهر بعد قيامته لأناس كانوا يعرفونه (يو ٢٠ : ٢٠) . ولكن فى أشكال جديدة بحيث أنهم لم

يميزوه لأول وهلة . فمريم – عند القبر – ظنت أنه البستاني (يو ٢٠ : ١٥) ، وفي طريق عمواس ظن التلميذان أنه مسافر عادي (لو ٢٤ : ١٣الخ) والرسل على بحيرة طبرية لم يعرفوا ذلك الغريب الواقف على الشاطئ (يو ٢١ : ٤) إلى أن قال يوحنا لبطرس : « **هو الرب** » (يو ٢١ : ٧) .

ترى ... لماذا هذه التغيرات في شكل المخلص ؟ ... لقد قصد الرب أن يوضح لنا أن حضوره الجسدي لم يعد محدوداً – كما كان قبل قيامته – في مكان وشكل معينين . **بل أضحى حضوره كونيًا ، عامًا وشاملاً من حيث المكان والشكل ، بحيث صار من الممكن أن يقترب كل انسان في كل مكان من جسده الممجد .**

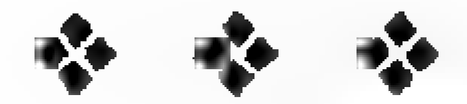
وهناك أكثر من هذا : أن يسوع قد ظهر عدة مرات في شكل شخص غريب ليؤكد أن **مسيح التاريخ الذي صعد إلى السماء قد ألبس الطبيعة الإلهية قسمات انسانية يسهل علينا أن نتكشفها** . فلقد أعلن لتلاميذه قبل موته بوقت طويل أنه كان جائعًا وعطشانًا ، وكان عريانًا ومريضًا ، وغريبًا ومسجونًا في أولئك الذين أطعمناهم

وسقيناهم ، وكسوناهم واعتنينا بهم ، وأويناهم وزرناهم . وكذلك فى أولئك الذين احتاجوا إلى هذه الأمور ولم نقدمها لهم . « **بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر ، فبى فعلتم** » (مت ٢٥ : ٣٥) .

لن يكون الله ومخلوقاته متساويين أبداً ، ونحن لسنا كالمسيح بالطبيعة ، ولكننا كذلك بالمشاركة والنعمة . نحن أعضاؤه ، وتحت هذه الصورة يمكن أن يظهر يسوع ويرى ويلمس . لهذا يقول يسوع لهذا الجيل الذى يزعم الواقعية ويرفض الخيالات : « أنظر يدى ورجلى » (لو ٢٤ : ٣٩) . **فاليوم - وعلى هذه الأرض - ليس ليسوع يدان ورجلان إلا تلك التى للبشر . وإذا لم تستطيع أن تصعد إلى يسوع بالصلاة ، أترك منزلك وأنزل إلى الشارع ، وفى الحال ستجده فى شكل العابرين أمامك .**

وفى هذه الأشكال ننال امكانية اللقاء المستمر بيسوع ، فمخلصى يظهر ذاته لى فى المكتب والمتجر ، فى المخزن والأتوبيس ، فى طابور الناس المنتظرين وفى أولئك المندفعين فى طريقهم بسرعة . نحن نجد المسيح فى

كنائســه ، ولكن عند مخارج هذه الأماكن المقدسة يجب أن نبدأ بحثنا عن يسوع واكتشافنا لشخصه فى شكل أخوته . وهذا الاقتراب من المسيح يكون فى روح الاتضاع سهلاً جداً وصعبًا جداً فى آن واحد – سهلاً لأن يسوع هناك فى كل واحد ممن يحيطون بنا ، وصعباً لأن ما يبدو شائعاً وعادياً فى الحياة اليومية يحتاج إلى جهد كبير . وربما كان سهلاً أن نرى يسوع المسيح فى خاطئة أو خاطئ من أن نراه فى شخص عادى يضايقنا وفى كلتا الحالتين نحتاج أن نحرر المسيح « من قيوده » . فمن جهتنا ، لابد من الايمان والتكريم والحب واعطاء الذات – على الأقل بالارادة – إن لم نعط الفرصة لنخدم بطريقة عملية هذا « المسيح » العابر أمامى . وفى كل خطوة نخطوها نستطيع أن « نجلى » البشر إذا ما رأينا فيهم الوجه المقدس الذى غالباً ما يكون مشوهاً . فقد قال القديس ذهبى الفم : هناك مذبح بشرى حتى فى كل شارع ومفترق طريق ، مقدس أكثر من المذبح الحجرى ، فالثانى يقدم عليه للمسيح أما الأول فهو المسيح نفسه !



٤٦
الآيات تتبع المؤمنين

قال يسوع : « الآيات تتبع المؤمنين » (مر ١٦ : ١٧) ، ولم يقصد التلاميذ فقط ، بل كل من قبلوا الانجيل . وقد حدد المسيح نوع هذه الايات : اخراج الشياطين باسمه ، التكلم بألسنة جديدة ، وشفاء المرضى .

ترى ... هل أخذنا هذا الوعد بطريقة جدية ؟ وهل نتقدم فى حياتنا هنا بقوة المسيح ؟ إنه موضع ايمان . هذه القوات تعطى « للمؤمنين » فهل أنا أؤمن بهذا بنفس المعنى القوى الذى قصده الانجيل من هذه الكلمات ؟

آه يا يسوع مخلصى ... « أعن عدم ايمانى » (مر ٩ : ٢٤) . زد ايمانى . بل – فى جراءة أضيف – أعطنى الامكانيات التى وعدت بها من يؤمنون كى يخدموا بها مجدك والنفوس أيضًا . وإنى لأطلب ذلك مستجيبًا لروح رسولك بولس إذ يطلب من الجميع أن يجدوا للمواهب الروحية (١ كو ١٤ : ١) .

ليس لمجرد أن أتلذذ بقوة روحية أو أثير اندهاش الناس بالآيات ، بل لأجل مساعدة الغير والشهادة لك .

عاد يسوع إلى أبيه ، وهو يريدنا أن نكون حيث هو الآن « اليوم تكون معى فى الفردوس » ... هكذا جاوب الرب اللص المصلوب (لو ٢٣ : ٤٣) . قال « معى » والأصل اليونانى META وليس SYN وهو لا يعنى مجرد المصاحبة والوجود معاً ، بل معنى الوجود المشترك والحياة المشتركة . فليس أن نقول عن اللص أنه سيكون حيث يكون يسوع بل أنه سيشارك يسوع فى حياته عينها . وهكذا سيكون الأمر معنا ، لو اتبعنا سيدنا حتى النهاية .

إننى لن أراه فقط ، بل سوف أشاركه حياته المجيدة أيضًا . وهذا يمكن أن يبدأ منذ الآن ... « اليوم » . يمكن أن يكون الفردوس مفتوحًا أمامى اليوم . إن لم يكن بكل اتساعه فعلى الأقل جزئيًا ، بقدر ما أتعلق بالمسيح . إن حياة التلميذ هى صورة ذات جزئين ، طالما أن السيد معنا هنا ومع الآب فى آن واحد . فالحياة السماوية هى مجرد امتداد وتعمق للحياة فى يسوع وحياتى بعد الموت ستؤكد وتثبت اختيارى هنا إذن ، فاليوم بالذات أستطيع أن أبدأ وجودى فى الفردوس مع يسوع .

« وفيما هو يباركهم ، انفرد عنهم وأصعد إلى السماء » (لو ٢٤ : ٥١) ... هذه الكلمات تصف علاقتنا - بيسوع بعد الصعود « فيما هو يباركهم ... » ، إن جسد المخلص الممجد قد انفصل عنا ، وأصعد إلى يمين الآب ، ولكن يسوع يحتفظ بروابطه معنا ويشترك فى مجهوداتنا ، وفى نفس لحظة الصعود نراه يباركنا . إذن فالصورة الكاملة للمخلص تشمل صعوده إلى السماء مقترناً بمباركته الدائمة لتلاميذه وأعمالهم ... **هذه اللفتة التى توحد السماء بالأرض .**

كانت آخر كلمة قالها المخلص وسجلت فى الأناجيل هى « **اتبعنى أنت** » (يو ٢١ : ٢٢) ، وهى الكلمة الأولى التى وجهها السيد لبطرس على الشاطئ (مت ٤ : ١٩) ، كما أنها الكلمة الأخيرة التى وجهها له على شاطئ البحيرة . وهذه الكلمة تحوى كل شئ .

وحين دعى بطرس لم يكن يفهم مضمون معنى « اتبعنى » ولكنه صار يفهمها بطريقة أفضل بعد الآلام والسقوط . ولكنه - مع ذلك - سوف يفهمها تماماً حين يستشهد « **آخر يمنطقك ...** » يو (٢١ : ١٨) . **ففى مساء الحياة لا يكف يسوع عن ندائه المؤثر الرحيم « اتبعنى**

أنت ، حتى وإن كانت حياة مليئة بالسقطات والخيانات - كما كان فى صباحها لا يسكت يسوع عن ندائه الملزم .

– يا سيد ... لقد استمعت كثيراً إلى ندائك ، ولسنين عديدة خلت ! ولقد بدأت الطريق مرات وسقطت ثم نهضت لأسقط ثانية . ولا أستطيع أو أدعى أننى تبعتك ، فكثيراً ما فقدت رؤيتك أمامى ، ولكننى – رغم ذلك – كنت أشعر دوماً أنك موجود .

– قم ثانية ، وأبدأ من جديد .

– هل معنى هذا أنك لم ترفضنى يا سيدى رغم خيانتى المتكررة ؟

– تعال ورائى ... واتبعنى .

– يا سيد ، ليتك ، تعطينى وربما للمرة الأخيرة نعمة دعوتك ؟

– نعم يا بنى الصغير ، هل تريد حقاً أن تأتى ؟ تعال ...

– يا سيد ، أنا فى الطريق الآن .

أودع بدار الكتب

تحت رقم ٤٠٦٣ لسنة ١٩٧٥

تطلب من مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج - الاسكندرية
تليفون : ٠٣/٥٩١٩٨٨٨ - فاكس : ٠٣/٥٩٠٢٨٨٨
stgeorge@dataxprs.com.eg

